الأخوّة الإسلاميةُ

فريضةٌ شرعيةٌ وضرورةٌ عصريةٌ

د. إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
في كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر

دار الكلمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الرابعة

الأخوّة الإسلامية

فريضةٌ شرعيةٌ وضرورةٌ عصريةٌ

د. إسماعيل علي محمد

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

في كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر - المنصورة

دار الكلمة للنشر والتوزيع

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

الطبعة الثالثة ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

بطاقة الفهرسة

محمد، إسماعيل علي

الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية.

تأليف أ.د/ إسماعيل علي محمد.

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ القاهرة .

ط ٣. ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م .

رقـــم الإيداع: ٢٠٠٢/١١٤٤١

الترقيم الدولي: ٨ـ ١٣١ ـ ٣١١ ـ ٩٧٧

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر ـ القاهرة

القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥

E-mail:mmaggour@hotmail.com
E-mail:daralkalema_pdp@hotmail.com
www.facebook.com/DarAlkalema

الأخوّة
الإسلامية
فريضة شرعية
وضرورة عصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٣]

مُقَدِّمَة

نحمَدُ الله ربَّ العالمينَ علَى سابغ نِعمه، وتَوالِي آلائه، ونَسْتزيدُه سبحانه وتعالى مِن فضْلِه، ونسألُه العونَ والسَّدادَ، ونصلِّي ونسلِّم على خاتَمِ أنبيائِه ورسلِه، سيدِنا محمَّدٍ ﷺ، ورَضِي اللهُ عن أصحابِه الطيبين، وعن التابعين له ﷺ بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ الإسلام قد بَنَى على التوحيد أُمّةً متماسكةً، وآخَى بين أفرادِها برباطٍ متين؛ هو رباط الإيمان والدِّين، الذي استمسكت به واتّحدَتْ في ظلِّه قرونا عديدة، فكانت عزيزة قويّة، مستعصيةً على أعدائها.

ثم تتابعت القرون، وتوالت العصور، حتى أتى على المسلمين اليومَ زمانٌ تراخَوْا فيه ـ بسبب عوامل داخلية وخارجية ـ عن تحكيمِ شريعةِ ربِّهم في سائر شئونِ حياتِهم، فتراخَى مع هذا رباطُ أُخوّتِهم، وتصدَّعت معه وَحدتُهم، فوهنت تَبَعاً لذلك قوّتُهم، وتسلَّط عليهم أعداؤُهم.

ولقد سعَى أعداء الإسلام سعيا حثيثا ـ ولا يزالون ـ من أجْل توهينِ وتمزيقِ الإخاءِ الإسلاميِّ، وعملوا جاهدين على أن لا يتآخى المسلمون في العالم ويتّحِدُوا على أساس الدين وفي ظل الإيمان، فأشاعُوا فيهم القوميَّاتِ والعَصَبيّاتِ العِرْقيةَ وأشباهَها؛ لأنهم يعلمون عِلمَ اليقينِ أن ترابطَ المسلمين واجتماعَهم في إطار الأخوّةِ الإسلاميةِ يجعلهم أُمّةً عزيزةً مَهُوبةً، وقوّةً في العالمين مَرْهُوبة، ويبوِّئهم مقامَ العِزِّ والتمكين، وعَيْشَ السعداءِ

الأكْرَمين.

لقد حلَّ بالمسلمين من البلاء والهوان في زماننا هذا ــ بسبب فُرقتِهم ــ ما يَعْجِز القلم عن إحصائه أو استقصائه.

وإذا أراد المسلمون الخلاصَ من هذا الواقعِ الأليمِ الــذي لا يُحسَدون عليه، واستعادةَ ماضيهمُ المجيدِ؛ فلا بد من إنهاء مــا هم فيه مِن شَتَات، والعملِ من أجل الوَحدة وجَمْعِ الشَّمْل.

ولن تقوم وَحدةٌ حقيقيةٌ بين المسلمين بدون أن تحيا الأخــوّة الإسلامية العالمية التي ينصهر المسلمون على وجه البســيطة في بوتقتها، وتكونَ واقعا عمليًّا بحقوقها وواجباتها علــى النحــو الذي شرعه الله تعالى، وعندئذ يَستردُّون عــافيتَهم ومجْــدَهم، ويستطيعون درْءَ الفتن عن أفرادهم وجماعاتهم، ويكونون أهــلا لنيل رضاءِ ربِّهم.

وقد رجوْتُ أن يكون هذا البحث تــذكيرا لنفســي ولســائر المسلمين، ودِلالةً على شُعْبَة من شُعَبِ الخير، وسبيلا مــن ســبل العلاج التي يوجبها الشرع، وتُحتِّمها ظروف العصــر، لاســيما في هذا الزمانِ الذي لم تعانِ الأمةُ الإسلاميةُ مِــن أوجــاعٍ مِثلَمــا تعاني فيه.

وقد اشتمل البحثُ بعد المقدمة على خمسة فصول؛ بيّنْــتُ في الأول منها حقيقةَ الأخوّةِ الإســلاميةِ وضــرورتَها، وذكــرْتُ في الثاني حقوقَها وواجباتها، ثــم تضــمن الثالــثُ آثــارَ الأخــوّةِ الإسلاميةِ في حياة المسلمين، ثم ذكرْتُ في الفصل الرابع بعــضَ المعوِّقات التي تقف حجر عثرة في طريق إحياء الأخوّة الإســلامية وإقامتِها بين المسلمين، ثم أشرْتُ في خاتمةُ الفصــولِ إلى واجــب

المسلمين في النهوض بالأخوّة الإسلامية.

واللهَ أسألُ أن يجعل عملي هذا صالحا، ولوجهه خالصــا، وأن يَعُمَّ به النفعُ، إنه أكرم مسئول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفقير إلى عفو ربه: إسماعيل علي محمد

الإثنين: ٢٣ من صفر ١٤٢٣هـ

٦ من مايو ٢٠٠٣م

في: أبها - السعودية

الفصـــل الأول
الأخوّة الإسلامية وضرورتها

مفهوم الأخوّةِ الإسلامية:

الأخوّةُ أو الإخاءُ: رابطةٌ متينةٌ مُوثَّقةٌ، تَجمع بين طَرفين أو أكثر، تتصف بالدوام والملازمة، وتنشأ بسبب النَّسب أو الرَّضاع، أو الدِّين، أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن، أو المقاصد والأعمال، ونحو ذلك من الأسباب (١).

(١) أصْلُ كلمة (أَخ) - كما في كتب اللغة - : « أَخَوٌ - بِفَتْحِ الْخَاءِ - لِأَنَّهُ جُمِعَ عَلَى (آخَاءٍ) مِثْلُ آبَاءٍ، وَيُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى (إِخْوَانٍ)، وَعَلَى (إِخْوَةٍ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَضَمِّهَا أَيْضًا، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ (الْإِخْوَانُ) فِي الْأَصْدِقَاءِ وَ (الْإِخْوَةُ) فِي الْوِلَادَةِ ». (مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (المتوفَّى ٦٦٦هـ) ص ١٤، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م) .

والأخُ « هو المشاركُ آخَرَ في الولادة من الطرفين أو مِن أحدهما، أو مِنَ الرَّضاع، ويستعار في كلِّ مشاركٍ لغيره في القبيلة أو في الدِّين، أو في صَنْعة أو في معاملةٍ أو في مودةٍ، وفي غير ذلك من المناسبات ». (المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني ص١٣ مكتبه الأنجلو المصرية ١٩٧٠م) .

«وقال بعضُ النحويِّين: سُمِّي الأَخُ أَخاً لأَنَّ قَصْدَه قَصْدُ أَخيه، وأَصْلُه مِنْ وَخَى أَي قَصَد، فقُلِبَتِ الواوُ هَمْزَةً.

وآخَى الرجَلَ مؤاخاةً وإِخاءً ووِخاءً، وتقول: بَيْني وبَيْنَه أُخُوّة وإِخاءٌ، وتأَخّيْتُ أخاً: أي اتخذْتُ أخاً. وفي الحديث: أن النبيَّ ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، أي أَلّفَ بينهم بأُخُوّة الإسلام والإيمان، والإِخاءُ: المُؤَاخاةُ والتأَخِّي، والأُخُوَّة: قَرابةُ الأَخِ، =

أمّا الأخوّةُ الإسلاميةُ: فهي رابطةٌ شَرعيّةٌ ربّانيّةٌ، وَثيقةٌ دائمةٌ، تَجْمَع بين كلِّ مسلمٍ وجميعِ المسلمين في كلِّ ناحيةٍ وجُزْءٍ من العالَم.

إنها رباطٌ متينٌ منعقِدٌ لا ينحلُّ، وعُروةٌ وُثْقَى لا تَنْفِصم، وصِلةٌ أَبَديّةٌ لازمةٌ مستمرةٌ لا تنقطع، مبنيّةٌ على المشاركة في الدِّين، تُؤَلِّف بين كافة المسلمين وتَنْتظِمُهم حيثما وُجِدوا.

إنها عَقْدٌ وثيقٌ؛ أطرافُه جميع المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويَحجُّون البيت الحرام، ويؤمنون بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدَرِ خيرِه وشرِّه ..

يقول ابن الجوزيِّ: « اعْلَمْ أَنَّ الْمَعْنَى الْجَامِعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الإِسْلامُ، فَقَدِ اكْتَسَبُوا بِهِ أُخُوَّةً أَصْلِيَّةً، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ حُقُوقٌ لِبَعْضِهِمْ

= والتَّأَخِّي اتّخاذُ الإِخْوان.

والأَخِيَة والأَخِيَّةُ، والآخِيَّة ـ بالمدِّ والتَّشْدِيدِ ـ واحِدَةُ الأَوَاخِيِّ: عُودٌ يُعَرَّض في الحائِطِ ويُدْفَن طَرَفاه فيه، ويَصيرُ وسَطه كالعُروة تُشدُّ إليه الدابَّة؛ وقيلَ: هو حَبْل يُدْفن في الأَرض ويَبْرُزُ طَرَفُه فيُشَدُّ بِهِ. وتأَخَّيْتُ أَنَا اشتقاقُه مِنْ آخِيَّة العُود، والأَخِيَّة أَيضاً: الحُرْمة والذِّمَّة، تَقُولُ: لِفُلَانٍ أَوَاخِيُّ وأَسْبابٌ تُرْعَى ». (لسان العرب الأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ١٤/ ٢٢ ـ ٢٤ باختصار، دار صادر – بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. ويُرجَع ـ أيضا ـ: تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي ١٠/ ١٠ـ ١١، المطبعة الخيرية – مصر ١٣٠٦هـ، الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري ٦/ ٢٢٦٤ ـ ٢٢٦٥، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي – مصر). والعروة هي الْمَقْبِضُ أو الْحَلْقَةُ. «واعتُبر من الأُخوّة معنى الملازمة فقيل: أَخِيّة الدابة». (المفردات، ص١٣).

عَلَى بَعْضٍ » [٢].

فأساسُ الأخوّة الإسلامية هو الإسلام، وجوهرُها هو الإيمان، وحقيقتُها الِارتباطُ بهذا الجوهرِ وذلك الأساسِ.

وآفاقُها رَحْبَة؛ تَمتَدُّ مع أحقاب الزمان فتشملُ جميعَ المسلمين عبر العصور، وتمتد مع آفاق المكان وتتخطَّى جميعَ الحدود، فتنتظمُ كافة المسلمين على وجه البسيطة.

وتتجلى لنا هذه الآفاقُ الرحيبةُ للأخوّة الإسلامية، التي تتجاوز آمادَ الزمانِ وأرْجاءَ المكانِ، حينما نطالع في القرآن العظيم وسُنّةِ النّبيِّ الكريمِ ﷺ.

ففي التنزيل العزيز يقولُ الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة الحشر: ١٠].

وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال ـ مخاطباً أصحابَه رضي الله عنهم ـ: « وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: « أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وإِخْوَانُنَا الَّذِين لمْ يأْتُوا بَعْدُ ... » الحديث [٣].

---

(٢) التبصرة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ)، ص ٢٧٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه .ك الطهارة ب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١/ ٢١٨ رقم ٢٤٩. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الأخوّة العامة والأخوّة الخاصة:

ثم إن هناك أُخُوّةً إسلاميةً عامةً؛ وهي تلك الأخوّة التي يشترك فيها جميعُ المسلمين على وجه الأرض.

وهناك أخوة إسلامية خاصة، وهي التي تكون بين أفراد المسلمين وآحادهم، أو بين جمْعٍ منهم.

ومن الأخوة الخاصة أيضا: أن تقوم جماعةٌ من المسلمين أو أهلُ بلدة معينة منهم، في زمن معين، أو مجموعةٌ من المسلمين تجمعهم أهدافٌ محدَّدةٌ، مثل الصحبة في سبيل الله، والتعاهد على العمل للإسلام بِعَقْدِ إخاءٍ خاصٍّ فيما بينهم، على نحو ما فعل النبيُّ ﷺ حينما عقَد إخاءً خاصًّا بين المهاجرين والمهاجرين، ثم بينهم وبين الأنصار .

يقول ابن الجوزيّ: « وَهَذِهِ الأُخُوَّةُ الْخَاصَّةُ هِيَ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الأُخُوَّةَ الْعَامَّةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [سورة الحجرات : ١٠] وَاقِعَةٌ قَبْلَ عَقْدِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَرَادَ الأَمْرَ الْخَاصَّ »(٤).

ومِثْلُ هذا النوعِ من الإخاءِ الخاصِّ قد تقتضيه وتُحَتِّمه ظُروفٌ خاصّةٌ تَحُلُّ بالمسلمين، أو جماعةٍ منهم في بعض الأعصار أو الأمصار.

وقد ذكر الشيخُ أبو زهرة، وغيرُه من أهل العلم؛ أنه لا توجَد

(٤) التبصرة، ص ٢٧٥.

نصوصٌ تمنع مِن هذا الإخاء الخاصّ في أيِّ عصر(٥).

فإن كان مثلُ هذا الإخاءِ يُحتاجُ إليه لمواجهة نوازلَ طارئةٍ، أو محَنٍ تَحُلّ ببعض المسلمين في زمان أو مكان ما؛ فلا بأس به، على أن يكون متفرعا عن الإخاء الإسلاميِّ العامّ، ومُعاضِداً له، وبعيدا عن العصبية القومية ونحوها، والله أعلم.

مشروعية الأخوّة الإسلامية:

وهذه الأخوّةُ الإسلاميةُ ليست حِلْفا بَشَريا ولا تجَمُّعا عِرْقيًّا، ولا تكتّلا أُنشِئ في زمان مضَى بفعل ظروف عارضة، ثم صار تقليدا أو عادة موروثة ... كلا؛ بل هي تشريعٌ ربّانيٌّ، ومبدأٌ إسلاميٌّ، ورابطة أنشأها الله عزّ وجلّ وشرعها، وصِلةٌ أمَرَ اللهُ تعالى أن تُوصَل، وعَقْدٌ شرعيٌّ لا يَسَع مُسْلمًا أن يتحلّل منه أو يتخلفَ عن المشاركةِ فيه، والقيامِ بحقوقِه وواجباتِه ورعايتِها على النحو الذي شرَعه الله تعالى في كتابه وسُنّة نبيِّه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(٥) تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، ص ١٦٢، دار الفكر العربي – القاهرة.
ونَصُّ كلامِه: «وإن سُنَّة الإخاءِ التي سَنّها النبيُّ ﷺ ووضَع أُسسَها سُنّةٌ قائمةٌ إلى يوم القيامةِ، لَم يَقُم دليلٌ على اختصاصِها بعصْرِه ﷺ، وهي صالحةٌ لأن تُطبَّق في كلِّ مجتمعٍ صغيرٍ، لِيتَمَّ التجانُسُ بين آحادِه، والتعاونُ على أُسُس الأخوّةِ الواصِلةِ المقرِّبة».

« وَمَعْنَى ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ أَيْ: صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ إِخْوَانًا فِي الدِّينِ »[٦].

فالله تعالى هو الذي صَيَّر المسلمين بالإسلام إخوانا، بعد أن كانوا قَبْلَه طرائق قِددا، كما جعلَ سبحانه الكفارَ الذين أسلموا وصاروا مؤمنين إخوانا للمسلمين، تُظلِّلُهم رايةُ الأخوّةِ الإسلامية، فقال جلَّ شأنُه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١].

الأخوّة الإسلامية فريضة شرعية:

وإذا كانت الأخوّة الإسلامية مَنْشؤُها شرعُ اللهِ عزّ وجلّ، وأنها أَمْرٌ مشروعٌ بنصوص القرآنِ والسنة ـ كما سنورد بعضها بعد قليل ـ فما تكييف أو توصيفُ هذه المشروعيةِ، وتحت أيِّ نوعٍ من أنواع الحكمِ الشرعيِّ التكليفيِّ تندرج ؟

وبعبارة أخرى: هل إقامةُ هذه الأخوّةِ بين المسلمين مِن قبيل الفرْضِ الذي طَلَبَ الشرعُ إقامتَه طلباً مَحْتوما، أم مِن قبيل المندوب المستحبِّ الذي طَلَبَ الشرعُ فِعْلَه طلبا غيرَ جازم، أم أنها من قبيل المباح الذي ترك الشرعُ لنا حرية الاختيار بين فِعْلِه وتَرْكِه ؟

---

(٦) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(المتوفَّى ٦٧١هـ) ٤/ ١٦٤، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

الواقع أنّ النصوصَ الشرعيةَ المحْكَمةَ تفيد بأنّ إقامةَ الأخوّةِ الإسلاميةِ ورعايةَ حقوقِها أمرٌ يقع في دائرة الفرض الشرعيّ، فهي عَقْدٌ قائم، ورباطٌ لازمٌ دائمٌ، أنشأه الشرعُ بين أهل الإسلام والإيمان، في كلِّ زمان ومكان، ولا يستطيع أحدٌ ـ كائنا مَن كان ـ أن يَنقضَه أو يَفْسخَه، تماما كالأخوّة النَّسَبيةِ التي لا يجوز لأحد ـ شرعا ـ أن يَنْفيَها أو يَفْسخَها، بل إنها أثْبَتُ من الأخوّة النَّسَبية .

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات : ١٠] .

وقد ذكر المفسرون كلاما نفيسا عند تفسير هذه الآية، يجدر بنا أن نورد طائفة منه هنا، على النحو التالي:

قال الفخر الرازيّ: « فَاللهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾؛ تَأْكِيدًا لِلْأَمْرِ، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَا بَيْنَهُمْ مَا بَيْنَ الإخوةِ مِنَ النَّسَبِ، وَالْإِسْلَامُ كَالْأَبِ، قَالَ قَائِلُهُمْ:

أَبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ ** إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

و ﴿ إِنَّمَا ﴾ لِلْحَصْرِ؛ أَيْ لَا أُخُوَّةَ إِلَّا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ فَلَا؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْجَامِعُ، وَلِهَذَا إِذَا مَاتَ الْمُسْلِمُ وَلَهُ أَخٌ كَافِرٌ يَكُونُ مَالُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَكُونُ لِأَخِيهِ الْكَافِرِ»(٧) .

---

(٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن، الملقَّب بفخر الدين الرازي (المتوفَّى ٦٠٦هـ) ٢٨/ ١٠٦، ١٠٧ باختصار، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ .

وقال القرطبيُّ: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾؛ أَيْ فِي الدِّينِ وَالْحُرْمَةِ، لَا فِي النَّسَبِ، وَلِهَذَا قِيلَ: أُخُوَّةُ الدِّينِ أَثْبَتُ مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ أُخوَّةَ النَّسَب تنقطع بمخالفة الدين، وَأُخُوَّةَ الدِّينِ لَا تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ النَّسَبِ» (٨) .

وقال الشوكانيُّ: « وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِيمَانُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: الدِّينُ يَجْمَعُهُمْ؛ فَهُمْ إِخْوَةٌ إِذَا كَانُوا مُتَّفِقِينَ فِي دِينِهِمْ » (٩) .

وقال السعديُّ: « ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾: هذا عَقْدٌ عَقَدَه اللهُ بين المؤمنين، أنه إذا وُجِد مِن أيِّ شخصٍ ـ كان في مشرق الأرض ومغربها ـ الإيمانُ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليوم الآخِر، فإنه أَخٌ للمؤمنين أُخُوَّةً تُوجِب أن يُحِبَّ له المؤمنون ما يُحبّون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم » (١٠) .

ولما هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة، وأسّسَ فيها دولةَ الإسلامِ الأولى، شرع من بادئ الأمر في وضع دستورِ هذه الدولةِ الإسلاميةِ الجديدةِ،

---

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٩) فتح القدير الجامع بين فَنّي الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفَّى ١٢٥٠هـ)، ٥/ ٧٤ دار ابن كثير– دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ .

(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفَّى ١٣٧٦هـ)، ٥/ ٦٩ مكتبه الأوس – المدينة المنورة .

فكتب ﷺ كتابا تضمَّن تنظيمَ الصِّلاتِ وحدودَ العلاقات بين أهل المدينة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ، واستهلّه بالتوكيد على مبدأ الأخوّةِ الإسلاميةِ التي يختص بها المسلمون من دون الناس، فكان أولُ بابٍ في هذا الكتاب على النحو التالي :

« بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ »[(١١)] .

وهذا يبيّن ويؤكد أن مفهوم الأمة والأخوّة الإسلامية قائمٌ على أساس الدين، وأن المسلمين بهذه الأخوّةِ المبنيّةِ على الدين والعقيدة يشكِّلون عالَماً متميِّزا، وجسدا واحدا، وجماعة واحدة تؤلِّف بينها رابطةُ الإسلامِ ـ والإسلامَ وحدَه ـ ولا تزاحمها رابطةٌ أخرى مثل الروابط القومية أو العِرْقيّة أو النَّسَبيّة ... وغيرها .

ورَحم اللهُ صاحبَ الظلال إذْ قال: «إن الوشيجة التى يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين، وتتعلق بآفاقٍ وآمادٍ وأبعادٍ وأهدافٍ يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم، إن هذه الوشيجةَ ليست وشيجةَ الدمِ والنَّسب، وليست

(١١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (المتوفَّ ٢١٣هـ) ١/ ٥٠١، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

وشيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللون واللغة، وليست وشيجة الجنس والعنصر، وليست وشيجة الحرفة والطبقة، إن هذه الوشائجَ جميعَها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد، كما قال سبحانه وتعالى لِعبْدِه نوحٍ ـ وهو يقول ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود: ٤٥] ـ ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤٦]، ثم يبين الله له لماذا يكون ابنُه ليس من أهله: ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود: ٤٦]، إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يانوح ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [هود: ٤٦]، فأنت تَحسُب أنه من أهلك، ولكن هذا الحُسْبانَ خاطئ، أما المعلوم المستيقَن فهو أنه ليس من أهلك ولو كان هو ابنَك مِن صُلبك، وهذا هو المعْلم الواضح البارز على مفرق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوشائج والروابط، وبين نظرات الجاهلية المتفرقة.

إن الجاهلياتِ تجعل الرابطة آناً هي الدم والنسب، وآناً هي الأرض والوطن، وآناً هي القوم والعشيرة، وآناً هي اللون واللغة، وآناً هي الجنس والعنصر، وآناً هي الحرفة والطبقة! تجعلها آناً هي المصالحَ المشترَكةَ، أو التاريخَ المشترَكَ، أو المصيرَ المشترَك..

وكلُّها تصورات جاهلية ـ على تفرقها أو تجمّعها ـ تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي! والمنهج الرباني القويم ـ ممثَّلاً في هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، وفي توجيهات

الرسول ﷺ ـ »[١٢].

ومن منطلق مبدأ الأخوّة الذي أرساه النبيُّ ﷺ وأكّدَه مع وِلادة الدولة الإسلامية الجديدة في المدينة المنوَّرة، قام ﷺ بعَقْد إخاءٍ خاصٍّ بين المهاجرين والمهاجرين، وبينهم وبين الأنصار، كان مضربَ المثل في صِدْقه ونَقَائه، وفي ترابط أهلِه وتعاونِهم وتراحمِهم وتكافلِهم، كما نرى في هذه الصورةِ المشْرِقةِ ـ وهي غَيْضٌ مِن فَيْض ـ :

عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَمَنْ؟»، قَالَ: امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «كَمْ سُقْتَ؟»، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ ـ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ ـ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» [١٣].

---

(١٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (استُشهِد في ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م)، ٤/ ١٨٨٦، دار الشروق – القاهرة، ط السابعة عشرة ١٤١٢هـ.

(١٣) رواه البخاري في صحيحه، ك البيوع ب ما جاء في قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت =

بل بلغ من قوةِ هذا الإخاءِ ولزومِه أنه كان يَحْدُث بسببه التوارثُ بين المهاجرين والأنصار، وكان يُقدَّم على ذوي الرَّحِم، وظل هذا حينا من الزمن ثم نُسِخ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « كَانَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الأَنْصَارِيُّ الْمُهَاجِرِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ، لِلأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ »(١٤).

وعن مُوسَى بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَال: « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ الْمَدِينَةَ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ، وَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ؛ آخَى بَيْنَهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُؤَاسَاةِ [أي: المشاركة]، وَيَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَمَاتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينِ، وَخَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَيُقَالُ: كَانُوا مِائَةً: خَمْسُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينِ، وَخَمْسُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ وَأَنْزَلَ اللهُّ تَعَالَى: ﴿**وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ**﴾ [الأنفال: ٧٥]؛ فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَانْقَطَعَتِ الْمُؤَاخَاةُ فِي الْمِيرَاثِ، وَرَجَعَ كُلُّ إِنْسَانٍ

= الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ ٣/ ٥٢ رقم ٢٠٤٨، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(١٤) رواه البخاري في صحيحه، ك الفَرَائِضِ ب ذَوِي الأَرْحَامِ ٨/ ١٥٣ رقم ٦٧٤٧.

إِلَى نَسَبِهِ، وَوَرِثَهُ ذَوُو رَحِمِهِ »[15].

قال السُّهيْليُّ: آخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حِينَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ، لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَيُؤْنِسَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ، وَيَشُدّ أَزْرَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَلَمّا عَزّ الْإِسْلَامُ وَاجْتَمَعَ الشّمْلُ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٧٥]، ثم جعل المؤمنين كلّهم إخوة، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، يعنى في التَّوادِّ وشمول الدعوة[16].

وفي حجة الوداع - وعلى رؤوس الأشهاد - يؤكد النبي ﷺ على الأخوّة الإسلامية، فيقول في بلاغه العظيم: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ، **تَعَلَّمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إخْوَةٌ**، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمُنَّ أَنْفُسَكُمْ »[17].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا

---

(١٥) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، المعروف بابن سعد (المتوفَّى ٢٣٠ هـ) ١/ ٢٣٨، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط الأولى ١٩٦٨م.

(١٦) الرَّوْضُ الأُنُفُ في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهَيْلِيُّ (المتوفَّى ٥٨١ هـ) ٤/ ١٧٧-١٧٨، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(١٧) رواه ابن اسحاق، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٠٣.

تَنَاجَشُـوا، وَلَا تَبَاغَضُـوا، وَلَا تَـدَابَرُوا، وَلَا يَبِـعْ بَعْضُـكُمْ عَـلَى بَيْـعِ بَعْضٍ، **وَكُونُـوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًـا، الْمُسْـلِمُ أَخُـو الْمُسْـلِمِ؛** لَا يَظْلِمُـهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا » - وَيُشِيرُ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ » (١٨).

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَـوَادِّهِمْ، وَتَـرَاحُمِهِمْ، وَتَعَـاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَـدِ إِذَا اشْـتَكَى مِنْـهُ عُضْـوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (١٩).

ثـم إن المسـلمين يجب علـيهم نحـو بعضـهم حقـوقٌ كثيرة؛ مثـلُ النصرةِ، والتكافلِ، والولاءِ والتعاونِ ... وغير ذلك مما جاء في القرآن والسنة، وهذه الواجبات لا تتم إلا بأن يكون بينهم إخاءٌ ابتداءً، ومـالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وفي ضوء ما تقدم يتبين لنا أن الأخوّة الإسـلامية هـي في جوهرهـا مبـدأٌ مـن مبـادئ الإسـلام، تَقـرَّرَ وتَرسَّـخ بآيـات القـرآن الصريحة،

---

(١٨) رواه مسلم في ك البر والصلة ب تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤.

(١٩) رواه البخاري في ك الأَدَبِ ب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ٨/ ١٠ رقـم ٦٠١١، ومسـلم [وهذا لفظه] في ك البر والصلة ب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَـاطُفِهِمْ ٤/ ١٩٩٩، رقـم ٢٥٨٦، ولفـظ البخـاري: «تَـرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَـرَاحُمِهِمْ وَتَـوَادِّهِمْ وَتَعَـاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَـدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى».

ونصوص السنة الصحيحة، وأنها رابطة لازمة مفروضة، ليس لأحدٍ ـ كائنا مَن كان ـ أن ينقُضَها، أو أن يستبدل بها غيرَها من الروابط الأخرى الأرضيةِ والعصبيةِ ونحوِها.

وعلى هذا فأخوة الإسلام فريضة شرعية، تجب إقامتُها وصيانتُها، ورعايةُ حقوقِها وواجباتها التي ألزم اللهُ بها أهلَها نحوَ بعضِهم البعض، فمَن أقامَها فقد وَصَل ما أمر اللهُ به أن يُوصَل، وكان مِن المؤمنين المفلحين الذين قال الله في حقهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [سورة الرعد: ٢١]، ومَن أضاعها كان من الخاسرين الذين قال الله في شأنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٥].

الأخوّة الإسلامية ضرورة عصرية:

وبالإضافة إلى ما تقدم من كون الأخوّة الإسلامية فريضةً شرعيةً، فإن هناك أمراً آخرَ يجعل منها ضرورة حتميةً، ومَطْلبا جازما، ورِباطاً لايَسَع المسلمين إلا أن يَعَضُّوا عليه بالنواجذ، ويجعلوه واقعا عمليا، ألا وهو حالُ المسلمين في عصرِنا هذا وواقعُهم، وما عليه حالُ الأمم الأخرى غير الإسلامية، بالإضافة إلى السوابق التاريخية ـ القديمة والحديثة ـ التي تتصل بعلاقة الغربِ بالعالم الإسلاميِّ، وغيرُ هذا من النوازل العصرية التي لا يمكن لعاقل تجاهلُها، ومن ذلك:

أولا: العصر الحاضر هو عصر التكتلات والأحلاف:

إنَّ العصر الحاضر هو عصر التكتلات والتجمعات والأحلاف القوية، التي لا تعرف غيرَ مصالِحِها وإن كانت على حساب الآخرين ومصالِحِهم بل ووجودِهم، فهي تكتلات لا تعرف الرحمة، بل ولا العدل، ولذا لم يَعُد في عصرنا الحاضر - مع الأسف - مكان للضعفاء أو المتفرِّقين الممزَّقين.

وعلى سبيل المثال فها هي أوربا الآن قد سعت بكل جهدها لتحقيق الوَحدة الكاملة فيما بين بلدانها العديدة، فأقامت الأحلاف والمنظمات والمعاهدات في كافة المجالات وشتى الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية ... وغيرها، للوصول إلى تلك الوحدة والاندماج التام الذي يجعل منها كيانا واحدا، وزعماء أوربا ماضون في هذا السبيل بكل جِدٍّ، وفي كل يوم نراهم يتقدمون خطوة لترسيخ وَحدتِهم وحِلْفِهم (٢٠).

فلماذا يبقى المسلمون هائمين على وجوههم في أودية التيه، وخلف رايات التفرق، دون أن يلتئم شملهم برباط الدين وأخوة الإسلام ، التي جعلهم الله عز وجل بها أمة واحدة، وجسدا واحدا

(٢٠) مع بداية عام ٢٠٠٢م - وقت كتابة هذا البحث - شرَع الأوربيون في تنفيذ ما اتفقوا عليه بشأن توحيد العملة، ومنذ ذلك الحين بدأ التعاملُ الفعليُّ بالعملةِ الأوربيةِ الموحَّدةِ «اليورو».

إذا اشتكى بعضُه اشتكى كلُّه ؟!

ثانيا: طبيعة علاقة الغرب بالعالم الإسلامي :

ثم إننا إذا نظرنا في علاقة الغرب ومَن يدور في فلكه من الأمم غيرِ المسلمة بالعالم الإسلاميِّ، ووقائعِ التاريخِ ذاتِ الصلةِ بالعلاقة بين الغرب والإسلام في غابر الزمان وحاضره؛ فإننا نجد عَداءً كامِنا في الشعور الغربيِّ نحو العالم الإسلاميّ، يَظْهَر أحيانا ويَختفِي حينا آخر، إلا أن المعطيات والشواهدَ التاريخيةَ حتى وقتنا هذا تؤكد بأن هناك أحقادا لم تُطفِئْها الأيام، مِن شأنها أن تجعل العالمَ الإسلاميَّ دائما موضِعَ كراهيةٍ مِن الغرب، وتجعلَ المسلمين ـ في جملتهم ـ هدفا لاعتداء الغرب وظُلمِه من آنٍ لآخر، بصور مختلفة، من استعمار عسكريٍّ ثم استعمار سياسيٍّ، إلى استعمار اقتصاديٍّ، إلى غزو ثقافيٍّ ... إلى غير ذلك من ألوان الكُرْهِ والإيذاء للمسلمين من جانب الغرب، وأيُّ مراقِب لمواقف الغربِ ومؤسساتهِ المتخاذلةِ حيالَ قضايا العالم الإسلاميِّ، من خلال المحافل الدولية ، كالأمم المتحدة، ومجلس الأمن وغيرهما؛ يدرك حقيقة ما ذكرنا .

ومع وجود هذه الحقيقة، فإن هناك مِن بَنِي جِلْدتِنا مَن يَسخَر مِن هذا الكلام، ويتهمنا بأننا غَرْقَى في الأوهام، وأننا أَسْرَى النظرية التآمرية، التي تفسر كلَّ شيء مِن قِبَل الغربِ تفسيرا عدائيا تآمريا ضدَّنا، وأن الأمر أهون بكثير مما نُهوِّل، وأن موقف الغربيين من

الإسلام والمسلمين إنما يتَّسِمُ بالموادعة والتسامح.

والواقع أننا كنا نتمنَّى أن يكون الأمرُ عكسَ ما نقول، وأن يكون حالُ أوربا اليومَ كما يَذْكُر مَن يعارِضوننا الرأيَ، ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ نجد القرائن الكثيرة تَدُلّ على أن الكُرْهَ الغربيَّ القديمَ لِعالَمَ الإسلام لم تنطفئ جَذْوتُه لدى الأوربيين إلى يوم الناس هذا.

وهذه مسألة لها جذورٌ عقدية؛ تعود في جوهرها إلى كون المسلمين يدينون بالإسلام، وكون الغرب ـ في أكثريته وأغلبِه ـ لا يدين بهذا الدين الذي يتصادم مع معتقدات الغربيين على اختلافها، سواء أكانت نصرانية أم يهودية، أم إلحادية، أم غير ذلك، والكُفْرُ كُلُّه ملّة واحدة.

فهؤلاء الغربيون يجمعهم كونُهم غيرَ مسلمين أولا، ثم كراهيتُهم للإسلام ثانياً.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣].

ثم إن تصريحات المسئولين الغربيين المعاصرين تُلْقِي لنا مزيدا من الضوء على الخلفية النفسية والشعورية للغرب تجاه العالم الإسلامي.

قال مسئول فرنسي ـ في وزارة الخارجية، سنة ١٩٥٢م: «ليست

الشيوعية خطرا على أوربا ـ فيما يبدو لي ـ ، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسيٌّ عسكريٌّ فقط، ولكنه ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقوماتُ وجودِنا الفكريِّ والإنسانيِّ للزوال والفناء.

إن الخطر الحقيقيَّ الذي يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلاميُّ، فالمسلمون عالَمٌ مستقلٌّ كلَّ الاستقلال عن عالمنا الغربيّ، فهم يملكون تراثَهم الرُّوحيَّ الخالصَ ويتمتعون بحضارة تاريخية ذاتِ أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالَمٍ جديد دون حاجة إلى الاستغراب، أي دون الحاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية» [٢١].

ويقول لورانس براون: «إذا اتّحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أما إذا بَقُوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير» [٢٢].

ويقول ألفريد كانتول سميث: «إن الغرب يوجِّه كلَّ أسلحتِه الحربيةِ والعلميةِ والفكريةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ إلى العالم الإسلاميِّ، بغرض إذلاله وتحقيره، وإشعاره بالضآلة والخنوع، وإن

---

(٢١) معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية (خلال القرن الرابع عشر الهجري)، أنور الجندي، ص١١٣، دار الاعتصام - القاهرة.

(٢٢) الفكرُ الإسلاميُّ الحديثُ وصِلتُه بالاستعمار الغربيّ، د. محمد البهي، ص٥٢٥، دار الفكر - بيروت، ط السادسة ١٩٧٣م. نقلاً عن الإسلام والإرساليات، لورانس براون ٤٤ : ٤٨.

الغرب وقف في صف الصهيونية ضد العرب والمسلمين، متأثرا بتلك العداوة القديمة بين المسيحية والإسلام»(٢٣).

ومَن أراد شهادة واضحة على موقف الغربِ المتّسم بالبغضاء نحو الإسلام فليراجع ما كتبه « ليو بولد فايس » النمساويُّ الذي اعتنق الإسلام وتَسمَّى باسم « محمد أسد »؛ حيث ذكر كلاما حاسما في هذه القضية، يجدر بنا أن نورد بعضا مما قرره، إذ يقول ـ رحمه الله ـ :

« إن الحروبَ الصليبيةَ هي التي عيّنَتْ في المقام الأولِ والأهمِّ موقفَ أوربةَ مِن الإسلامِ لِبضعة قرونٍ تتلو »(٢٤).

ثم يقول: « إن روحَ الحروبِ الصليبيةِ ـ في شكْلٍ مصغَّرٍ على كل حال ـ مازال يتَسكَّع فوق أوربةَ، ولا تزال مدنيّتُها تقف من العالم الإسلاميِّ موقفا يحمل آثارا واضحةً لذلك الشَّبَح المستميتِ في القتال »(٢٥).

ولقد تعودنا أنْ نرى الدول الغربية ومعها أمريكا ـ في كثير من الأحيان ـ أن تكيل دائما بمكيالين في المنظمات والمحافل الدولية، فإذا كان ثمةَ مشكلةٌ خاصةٌ بأحد الأقطار الإسلامية، تكون قيم العدالة

---

(٢٣) من التبعية إلى الأصالة، أنور الجندي، ص ١٦ط الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

(٢٤) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، ص٥٢، مكتبه المنار – الكويت، ط السابعة ١٩٧٤م.

(٢٥) السابق ص٥٧-٥٨ .

وإنصاف المظلوم وشعارات الديمقراطية ونحوها في إجازة مفتوحة، أما إذا كانت هناك مشكلةٌ تخص غير المسلمين انبعثت تلك القيم مِن مَرْقدِها، ورفع الجميع شعارات العدل والديمقراطية وإعادة الحق إلى نصابه، ونادَوْا بها مدوِّيَة في شتى المحافل !!

ولا أدلَّ على ذلك من مواقفِ الغربِ من قضايا العالم الإسلامي الملتهبة، خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلاديِّ، مثل قضايا كشمير، ومشكلة فلسطين، وقضية مسلمي البوسنة والهرسك التي تفجرت في العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، حيث سال الدم المسلم أنهاراً، وشهد التاريخ تفرَّجَ الغربِ المشين، وتخاذلَ المسلمين المهين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إنه لما حدثت مشكله «تيمور الشرقية» وهي إحدى جزر إندونيسيا، حيث قام أهالي تلك الجزيزةِ يطالبون باستقلالهم عن إندونيسيا، وكان ذلك في عام ١٩٩٧م، وحدثت أعمال عنف مِنْ جانب التيموريين ومواجهات بينهم وبين السلطات الإندونيسية، ولأن أكْثرَ أهلِ «تيمور» نصارى تحركت على الفور المنظمات الدولية، وأرسلت قوات لحفظ السلام، وحمايتهم، وتقرر أن يُجْرَى استفتاء على الاستقلال من عدمه، وتمَّ بالفعل، وكانت النتيجة لصالح المطالبة بالاستقلال عن إندونيسيا، وتم تنفيذ هذا الأمر على الفور، وفي مطلع القرن الحادي والعشرين كانت «تيمور الشرقية» أحدَثَ

دولةٍ عضوٍ في الأمم المتحدة.

أما المسلمون في كشمير فيُترَكون أكثر من نصف قرن تطحنهم آلـة الحرب الهندية، ولا تتحرك هيئة الأمم المتحدة، أو تسعى لمجرد إجراء استفتاء لأهلها على قضية الاستقلال من عدمه، بل وتُوصَمُ الحركاتُ الجهاديـة التـي تقـاوِم الاحـتلالَ الهنـديَّ الغاشـمَ لكشـميرَ بـالتطرفِ والإرهابِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ألـيس الأولى بالمسـلمين والأجـدرُ بهـم - في ظـل تلـك الأحـوال والظروف - أن يَسْعَوا لإحياء الأخوّة الإسلامية، وأن يَرْعَوْها حقَّ رِعايتِها، كي لا يَضيعوا وتضيعَ حقوقُهم أكثرَ مما هو حاصلٌ، بسبب غياب رابطة الأخوّة فيما بينهم ؟

إن واقـع الغـرب المتفـوق علينـا الآن ماديـا، ويتعامـل مـع قضـايانا ومشكلاتِنا مـن منطلـق خلفيـة عقديـة وتاريخيـة بغيضـة - كـما أشرنـا - لَيُحتمَّ على المسلمين في المشارق والمغارب أن يتنادَوْا من جديد ويَهُبّوا بعزيمة صادقة لإصلاح ما فسد من علائق فيما بينهم، وتقويةِ ما وهَن مِن رِباط أُخوّتِهم، وجمْعِ ما تشتت مـن شـملهم تحت رايـة الأخـوّة الإسلامية، ومن منطلق قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ** ﴾[الأنبياء: ٩٢] ، ﴿ **إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ** ﴾ [الحجرات:

١٠]، وقول الرسول ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»[٢٦].

ثالثا: ما نراه من إخاء بين أصحابِ كلِّ دينٍ من غير المسلمين:

والواقع أننا نشاهد بين أصحابِ كلِّ دينٍ مِن غير المسلمين إخاء فيما بينهم على أساس الدين الذين يجمعهم، مثلَ النصارى، واليهود في أقطار الدنيا، حتى البوذيين وعبّاد البقر، وغيرهم، يتآخون فيما بينهم في إطار أديان كلٍّ منهم، إخاءً تترتّب عليه حقوقٌ وواجباتٌ نحوَ بعضِهم البعض، من أبرزها الموالاة فيما بينهم.

ألا يكون المسلمون أحقَّ بالتجمع والالتقاء على التآخي فيما بينهم من تلك الأمم ؟ أليس الأجدر بهم أن يكونوا أمة واحدة، وكيانا متماسكا، وصفاً واحدا في زمن تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، بدلا من أن تبقى مشتتة ضعيفة كغثاء السيل؟

رابعا : حاجة المسلمين إلى استرداد حقوقهم السليبة. ودفع العدوان الواقع عليهم في العالم:

ثم إن المسلمين في العصر الحاضر يعانون من ضعف ووجع، وتفكك وتخلف في مجالات كثيرة، كما يتعرضون لاستهانة الأمم غير المسلمة بهم، بل والعدوان عليهم واستلاب حقوقهم وأرضهم وأموالهم وديارهم ومقدساتهم، وانتهاك حرماتهم، وهذا في أماكن شتى من العالم، كما هو الحال في فلسطين، وكشمير، والهند،

---

(٢٦) رواه مسلم، وقد سبق تخريجه في ص ٢٢.

والشيشان، وبورما، وكما جرى لهم وحل بهم في البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وغيرها من بقاع الأرض التي يتعرض فيها المسلمون للفتنة والمهانة والاضطهاد.

لذلك فهم أحوج ما يكونون إلى إقامة الأخوّة الإسلامية والانضواء تحت لوائها، والانصهار في بوتقتها، كي تتحقق لهم الوَحدةُ والمَنَعَةُ والعصمةُ، وتنحلَّ مشكلاتُهم الاقتصاديةُ والسياسيةُ، وتزولَ عنهم الفتنةُ التي يتعرضون لها من قِبَل أعداء لا يرقبون في أحدٍ من المؤمنين إلاًّ ولا ذمة، فإحياء الأخوّة الإسلامية اليوم بالنسبة للمسلمين هو طوق النجاة، والحصن الحصين، وسبيل العز والتمكين.

لقد أتى على المسلمين اليوم زمان صاروا فيه كالأيتام على موائد اللئام، وبات الدم المسلم في أطراف كثيرة من المعمورة أرخصَ الدماء، وأسهلَها إراقةً مِن قِبَل أعداء الإسلام والمسلمين، وما تجرأ هؤلاء الأعداءُ الملاعينُ على سفكِ دماءِ المسلمين دونَ مبالاةٍ ـ كما رأينا في البوسنة والهرسك، والشيشان، وفلسطين ـ إلا لأن المسلمين متفرقون ممزقون تحت رايات شتى، وموزَّعون مبعثرون خلف ولاءات مختلفة من القوميات والعنصريات العرقية والإقليمية الضيقة، تاركين التوحُّد والتآخي تحت راية الإسلام والإيمان، ولسوف يستمر هوانُهم على أعدائهم، وعدمُ اكتراثِ خصومِهم بهم

ما داموا على هذا النحو من التشتت والتمزق، وعدمِ الالتفات إلى أهمية وضرورة إقامة الأخوّة الإسلامية فيما بينهم؛ ذلك أنه لن يوحِّدَهم ويجعلَ منهم قوة تستعصي على الخصوم إلا الإسلامُ، ولن يكون لهم مهابةٌ في نفوس أعدائِهم إلا بأن يكونوا أمة مسلمة، لا شرقية ولا غربية.

أفلا تحتِّم مثلُ هذه الأحوالِ وتفرض على المسلمين في هذا العصر ـ خاصة أن يلوذوا بأخوّتهم الإسلامية، ويقيموها فيما بينهم على الوجه الذي شرعه الله تعالى، لتتوحد بها صفوفهم، ويقوى كيانُهم، وتُحتَرَم حقوقُهم، وتُصان دماؤهم وكرامتُهم ؟

الأخوّة الإسلامية ليست تحزبا ضد الآخرين:

ثم إن الأخوّة الإسلاميةَ التي لها من الأهمية والضرورة الشرعية والعصرية ما ذكرنا، ويتوجب على المسلمين من هذا المنطلق إقامتها؛ ليست دعوة عنصرية، أو تعصبا بغيضا وتحزّبا ضد الآخرين ممن ليسوا من المسلمين، يبيح ظلمَهم والاعتداءَ عليهم، وانتهاكَ آدميتِهم وتجاهلَ إنسانيتهم.

كلا؛ بل الأخوّة الإسلامية تَجمُّعُ طبيعيٌّ، وكيانٌ على أساس الدين، ليس المسلمون بِدْعا فيه، وما كان الإسلام الذي شرع الإخاء بين المسلمين، لِيبيح لهم أن يظلموا أحدا، أو يتعاونوا من أجل الاعتداء والطغيان على أحد، سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم،

وهذا واضح بصريح القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

والإسلام يفرِّق بين مَن يحاربون المسلمين ويناصبونهم العَدَاء، ويعملون على إيقاع الأذى والشرِّ بهم، وبين مَن يسالمونهم ويوادعونهم.

فأما مَن يحاربون المسلمين، ويسعون للاعتداء عليهم وظلمهم، فالحقُّ الطبيعيُّ ـ بل الواجب ـ أن يَدرأُوا العدوان والبغي عن أنفسهم.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤].

وقال جل شأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وقال جل شأنه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠].

وأما من لم يحاربوا المسلمين، وكفُّوا عنهم أذاهم، ولم يسيئوا

إليهم، فلهم البرُّ والقسط والإحسان.

قال تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال عز وجل: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠].

وجملة القول أن الإسلام يُلزِم المسلمين بمكارم الأخلاق وحُسْن التعامل، والتخلي عن مرذول الأخلاق، وقبيح السلوك مع بني الإنسان جميعا، مُسْلِمِهم وغيرِ مُسْلِمِهم، وليس مع أهل الإسلام فقط دون الآخرين، كما يفعل اليهود؛ حيث لا يعتبرون أحدا أحقَّ بالرعاية أو البر والإحسان، بل ولا بالحياة إلا إذا كان يهوديا، وهناك نصوصٌ مقدَّسةٌ لديهم تزكِّي فيهم هذه العنصريةَ البغيضة، وهذا المسلك اليهوديُّ تجاه الآخرين يَعُمُّ غيرَ اليهود جميعا، سواء أكانوا محاربين أم غير محاربين (٢٧).

إن الإخاء بين المسلمين إنما هو تعاون على البر والتقوى، وتحقيقِ قيمِ الحقِّ والفضائلِ لخير البشر وسعادةِ بني الإنسان جميعا، وما كان أبدا تعاونا على الإثم والعدوان، أو تحالفا عنصريا على حساب العدل

---

(٢٧) لمزيد من التفاصيل حول عنصرية اليهود في التعامل مع غيرهم، يراجع: الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، للمؤلف، ص٨٣ وما بعدها، دار الكلمة – مصر، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ومكارم الأخلاق.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإنه إذا قامت الوَحدةُ الإسلاميةُ على أساس الدين، وأَخَذَ المسلمون جميعا بأخلاق الإسلام التي عَّلمها وأوصى بها محمدٌ ﷺ، ذهبَتْ أكثرُ شرورِ العالم، وكان المسلمون - كما ابتدأوا - مُثُلا عاليةً للفضيلةِ والإنسانيةِ العالية.

وقد فقَد العالمُ ذلك بتفرُّقِ المسلمين، وتأُّخرِهم عن الصفِّ الأولِ في بني الإنسان، واحتلَّ الصفَّ الأوّلَ مَن تخلّقُوا بأخلاق القِردةِ في نزواتهم والخنازيرِ في مَقاذرهم.

وإن الأخوّة الإسلامية تقوم على عناصر ليس فيها اعتداء على أحد، ولا تعصّبٌ ضدَّ أحد، إنما تقوم على ثلاثة مبادئ كلّها يتصل بالأخلاق الفاضلة:

أولها: شعورٌ بالأخوّة بين المسلمين بعضِهم مع بعض، يتحقّقُ فيها قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وألا يكون منهم اعتداءٌ على غيرهم إلا إذا اعتَدَى على إقليم منهم.

ثانيها: وَحدة ثقافية ولغوية واجتماعية، حتى يتضافروا جميعا على محاربة المذاهب الهدامة، ومنع شيوعها بين المؤمنين خاصة، وبين الناس عامة، حتى لا يكون فساد في الأرض.

ثالثها: أن لا يكون من إقليم إسلاميٍّ حربٌ على إقليم آخر، أيًّا كانت أساليب هذه الحرب سواء أكانت بالاقتصاد، أو بالتحالف على مسلمين»[٢٨].

(٢٨) الوَحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ٢٣، دار الفكر العربي - القاهرة.

الفصـــــــل الثاني
حقوق وواجبات الأخوّة الإسلامية

تمهيد:

إن الأخوّة الإسلامية ليست مجرد نظريات جوفاء، أو هي مِن قبيل الشعارات البراقة الخالية من أي مضمون، كلا؛ إنها ليست كذلك، بل هي عَقْدٌ شرعيٌّ تترتب عليه التزاماتٌ، وحقوقٌ وواجباتٌ بين أطرافه، الذين هم كلُّ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

وتلك الحقوق والواجبات التي تنشأ عن رابطة الإخاء بين المسلمين، وتجب لبعضهم نحو بعض، تبلغ ـ في مجموعها ـ درجة الواجبات، وتحتل مرتبةَ الفرائضِ المأمورِ بها شرعا، بحيث لا يسع المسلمين إلا أداؤُها والنهوضُ بها، وتطبيقُها فيما بينهم ، على الوجه الذي شرعه الله تعالى في القرآن المجيد وسنة النبي ﷺ.

وما هذه الحقوق والواجبات إلا لخير الأفراد والمجتمعات، فإن التزموا بها وحققوها؛ ظفروا بعزِّ الدارين، وأفلحوا وسعدوا في المعاش والمعاد.

وحينما نطالع في القرآن الكريم والسنة المطهرة، نجد كثيرا من حقوق الأخوّة وواجباتها قد حَفَلَت بها وأكّدتْها آياتٌ قرآنيةٌ محْكَمةٌ، وأحاديثُ نبويةٌ صحيحة صريحةٌ.

وهذه الحقوق والواجبات كثيرة ومتنوعة، مثل تحريمِ إيذاءِ المسلم وهَجْرِه ومقاطعته، وحسدِه، وإيذائِه في نفسه أو عرضه، وتحريمِ ظلمه، ووجوب التعاون والتكافل والإيثار بين المسلمين، وأن يحب المسلمُ لأخيه ما يحب لنفسه، ويكرهَ له ما يكرهُه لها، ووجوبَ الولاءِ والنصرة، والنهيَ عن التباغضِ والشحناءِ والشماتةِ بين المسلم وإخوانه المسلمين، ووجوبَ صيانةِ مال المسلم، وبذلِ النصح له، وتحريمَ احتقارِه أو سبِّه والاستهزاءِ به، ووجوبَ التواضعِ والتراحمِ والتآلفِ والتوادِّ بين المسلمين بعضهم البعض ... وغيرِ ذلك من الحقوق الكثيرة التي ينبغي على المسلمين أن يَرْعوها حقَّ رعايتِها.

ويجدر بنا أن نُطِلَّ إطلالةً سريعةً على بعض حقوقِ الأخوّةِ الإسلاميةِ وواجباتِها في ضوء نصوصِ القرآنِ الكريم وسُنّةِ النبيِّ الأمين ﷺ؛ لما لهذه الحقوق من أهمية بالغة في حياة المسلمين اليوم، وذلك على النحو التالي:

أولا: الولاء بين المسلمين:

إن الأخوّةَ الإسلاميةَ القائمةَ على أساس الإيمان توجِب على كافةِ المسلمين، أن يواليَ بعضُهم بعضا، أي: يكون بينهم قُرْبٌ وحبٌّ وتوادٌّ، وتواصلٌ، ومناصرة وتحالفٌ (٢٩).

---

(٢٩) الوَلْيُ: القُرْبُ، والدُّنُوُّ، والوَلِيُّ: الاسمُ منه، والمُحِبُّ، والصَّدِيقُ، والنَّصيرُ. (القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص١٣٤٤، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط السادسة =

قال الله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

وقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [سورة التوبة: ٧١].

وإنه لا يستقيم شرعا ولا عقلا أن يكون بين غير المسلمين وَلاءٌ ومناصرةٌ؛ ثم يتراخى المسلمون في تحقيق الولاء فيما بينهم !!

وصدق الله القائل: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: ٧٣].

فأهل المِلَلِ الأخرى ـ حيثما كانوا ـ يُوالِي بعضُهم بعضا، حتى في حالِ ما قد يوجد بينهم من اختلافات؛ إذِ الكفرُ كلُّه مِلّةٌ واحدة، وإنْ لم يَقُمِ المسلمون بالولاء ويحققوه فيما بينهم فلسوف يقع مِن الفتن والمفاسد ما الله به عليم، وفي هذا حضٌّ بليغ من الله تعالى للمسلمين على موالاة بعضهم بعضا.

إن الأخوّة الإسلامية تصيرُ عديمةَ الجدْوى، فارغةَ المضمون والمعنى، إذا لم تُكلَّل بموالاة المسلمين لبعضهم، وتَقارُبِهم وتَوادِّهم

= ١٤١٩هـ ١٩٩٨م). والوَلِيُّ: ضدُّ العدوّ، والمولى: الناصر والجار والحليف، ويقال: بينهما وَلاءٌ بالفتح، أي قرابةٌ، والمُوالاةُ: ضد المعاداة، والوَلايةُ: النُّصرة، يقال: هم على وَلاية، أي: مجتمعون في النُّصرة. (الصحاح ٦/ ٢٥٢٩ ـ ٢٥٣٠ باختصار) .

فيما بينهم، وتَعاونِهم وتآزُرِهم على ما فيه نفْعُهم وصلاحُ معاشِهم ومعادِهم، فيصيروا بهذا الولاء كيانا واحدا قويا متماسكا، له تقديرُه ووزْنُه في دنيا الناس، وعالم التكتلات العاتية الجبارة.

ويشير النبي ﷺ إلى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من التوادِّ والتآزر والتقارب والتماسك ـ الذي هو من مظاهر الولاء، ومن ثماره أيضا ـ فيقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (٣٠).

وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (٣١)، وشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

قال ابن الجوزي: «ظَاهره الْإِخْبَار وَمَعْنَاهُ الْأَمر، وَهُوَ تحريضٌ على التعاون» (٣٢).

---

(٣٠) رواه البخاري في ك الأَدَبِ ب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ٨/ ١٠ رقم ٦٠١١، ومسلم [وهذا لفظه] في ك البر والصلة ب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ ٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، ولفظ البخاري: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى».

(٣١) رواه البخاري في ك المَظَالِمِ وَالغَصْبِ ب نَصْرِ المَظْلُومِ ٣/ ١٢٩ رقم ٢٤٤٦، ومسلم في في ك البر والصلة ب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ ٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٥.

(٣٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ)، ١/ ٤٠٥، تحقيق علي حسين البواب، (بدون دار وتاريخ النشر).

وإذا كـان ممـا لا يسـتقيم شرعـا ولا عقـلا أن يُقصِّر ـ المسـلمون في موالاة بعضهم، بينما يقيم أعداؤهم الولاء فيما بينهم ـ كما ذكرنا ـ؛ فإنه لمن أعظم المنكر، وأشـد الانحـراف شرعـا وعقـلا أن يـوالي أحـدٌ مـن المسلمين غيرَ المسلمين، وينحازَ إليهم من دون إخوانه في الدِّين.

ذلك أن ميزان الولاء في نظـر الإسـلام إنـما هـو العقيـدة الإسـلامية، فمن كان من أهل هذه العقيدة وجـب لـه الـولاء ـ كـما دلـت عـلى ذلـك النصـوص التـي أشرنـا إلى بعضـها ـ، ومَـن كـان خـارجَ دائـرةِ العقيـدة الإسلامية فليس له من هذا الـولاء نصيب، وهـو بعـد هـذا واحـدٌ مِـن اثنـين: إمـا مُعـادٍ محـارِبٌ لله ورسـوله ومنـاوئٌ للمـؤمنين، فـلا يسـتحق سوى المعاداة، ودفْعِ عدوانِه إذا اعتدى، ولو كان أقربَ الأقربين، وإمـا مسالمٌ موادِعٌ للمسلمين، فله المعاملة بالبر والقسـط، ولا يلـزم مـن هـذه المعاملـة بـالبر والقسـط أن يحبَّـه المسـلمون، ويتخـذوه بطانـة مـن دون المؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِـنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَـنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِـنْكُمْ فَإِنَّـهُ مِـنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقـال جـل شـأنه: ﴿لَا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِـنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

قال القرطبي: «نَهَى اللهُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُلَاطِفُوا الْكُفَّارَ فَيَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، ومِثْلُهُ {لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُم، ومعنى {فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ} أَيْ فَلَيْسَ مِنْ حِزْبِ اللهِّ وَلَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ فِي شي» (٣٣).

وقال ابن كثير: «نَهَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ تعالى: **{وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ** ، أي ومن يرتكبْ نهْيَ الله في هذا فقد بريء مِنَ اللهِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِّ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**} [الْمُمْتَحنَةِ: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِّ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً**} [النِّسَاءِ: ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**} [المائدة: ٥١]، وقال تعالى ـ بعد ذكر

(٣٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٥٧.

موالاة المؤمنين مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَعْرَابِ ـ: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ}** [الأنفال: ٧٣].

وقوله تعالى: **{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً}**، أَيْ إِلَّا مَنْ خَافَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ أَوِ الْأَوْقَاتِ مِنْ شَرِّهِمْ، فَلَهُ أَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ لَا بباطنه ونيته، قال ابن عباس: لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَلِ إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ،قَالَ الْحَسَنُ: التَّقِيَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٣٤).

وإنَّ تخليص الولاء لله ورسوله والمؤمنين من أية شُبْهةِ ولاءٍ لغير المسلمين أَمْرٌ طبيعيٌّ؛ «فما جعل الله عز وجل لرجل قلبين في جوفه، وما يَجمع إنسان في قلب واحد وُدَّين: وُدًّا لله ورسولِه، وَوُدًّا لأعداء الله ورسولِه، فإما إيمانٌ أوْ لا إيمان، أما هما معا فلا يجتمعان»(٣٥).

«وليس من التقيةِ المرخَّصِ فيها أن تقوم المودةُ بين المؤمنِ وبين الكافر»(٣٦).

هذا، ولا يوجَد تعارضٌ بين النَّهْيِ عن موالاة غير المسلمين، وبين مشروعيةِ البرِّ بمن كان مسالما موادِعا منهم، والقسطِ معه؛ لأن هناك

---

(٣٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفَّى ٧٧٤هـ)، ٢/ ٢٥، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

(٣٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥١٤.

(٣٦) السابق ١/ ٣٨٦ .

فرقا بين الموالاة التي من لوازمها الحب والنصرة والصداقة والقرب، وبين البِرِّ والقسط الذي لا يعدو أن يكون ضربا من الإحسان في المعاملة فقط، كما في قوله تعالى عن الوالدين الكافرين: **{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}** [لقمان: ١٥].

ثانيا: النُّصْـــــرَة:

إن المسلمين في شتى بقاع الأرض ـ بحكم الأُخوّةِ التي تجمعهم ـ ملزمون ومطالبون ـ شرعا ـ بأن يَنْصرَ ويُؤازِرَ بعضُهم بعضاً، لا سيما حين تدعوا لهذا ضرورةٌ من ظلْم أو استضعاف، أو اعتداء خارجيّ، أو نحو هذا.

وهذا التناصر والتآزر من أعظم وأهمِّ حقوقِ الأخوّةِ بين المسلمين، كما أنه من مظاهر الولاء بينهم ومقتضياته كذلك.

والواقع أن هناك كثيرين من المسلمين يتعرضون للفتنة والاضطهاد، ويُسامون في كل يوم سوء العذاب، فتُنْتَهَكُ حرماتُهم، وتُزهَقُ أرواحُ الكثيرين منهم، وتُهدَّم بيوتُهم، وتُصادَر ممتلكاتُهم، وما يحدث للمسلمين في أرض الإسراء والمعراج، حول أولى القبلتين في فلسطينَ المسلمة، وقدسِها الأسيرة، وأقصاها الذي يعانى تدنيسَ أحفادِ القردةِ والخنازيرِ لحرَمِه الشريفِ؛ لَهو أكبرُ دليلٍ على هذا الواقعِ الأليمِ المهين.

لقد أعمل اليهود كل أنواع القتل والتنكيل، ومارسوا جميع طرقِ العدوانِ وأبشعِها ضدَّ المسلمين المظلومين في أرجاءِ فلسطين الجريحة، والعالمُ لا يفعل شيئا لِرفْعِ الظلم عن المظلومين، والضربِ على يد الظالمين المعتدين.

هذا عدا ما يتعرض له جماهير عريضة من المسلمين من ظلم في أماكن أخرى من العالم، مثل كشمير، وبورما، والفليبين وغيرها.

إن أولئك المسلمين المقهورين المظلومين لهم على إخوانهم المسلمين القادرين على نصرتهم حقُّ النصرة والنجدة، بكل الوسائل الممكنة، حتى يبرأوا مِن مِحْنتهم وينفكُّوا مِن أغلال الظلمِ الذي يكتنفهم، خاصة وأنهم أُسراءُ مستضعفون، منهم من هو أسير في سجن محدود، ومنهم من جعل الأعداءُ الظالمون بلادَه كلَّها سِجنا له ولإخوانه، كما هو الحال في كثير من مدن وقرى فلسطين المحتلة، حيث حوَّل اليهود تلك البلادَ إلى سجونٍ محاطةٍ بالحواجز التي تجعلها معزولة عن بعضها وعن العالم الخارجيِّ، وبما يفرضونه على الخلق هناك من أنظمة مَنْع التَّجْوَالِ شِبْه الدائم، وما يشبهها.

وهؤلاء المسلمون المستضعفون المظلومون يستنجدون بإخوانهم المسلمين في العالم صباحا ومساء، ومع الأسى والأسف لا تجد استغاثاتُهم من المسلمين إلا الخذلان، حتى إننا لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن هؤلاء المستضعفين في فلسطين وكشمير، ومن قبل في

البوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها لم يخذلهم أحدٌ مثل ما خذَلَهم إخوانهم المسلمون، وإنا لله وإنا إليه راجعون !!

يقول الله عز وجل: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال:٧٢].

قال القرطبيُّ - في تفسير الآية -:

«يُرِيدُ إِنْ دَعَوْا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الْحَرْبِ عَوْنَكُمْ بِنَفِيرٍ أَوْ مَالٍ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ فَأَعِينُوهُمْ، فَذَلِكَ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم عَلَى قَوْمٍ كُفَّارٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَلَا تنصروهم عَلَيْهِمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ حَتَّى تَتِمَّ مُدَّتُهُ، قال ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِلَّا أَنْ يَكُونُوا أُسَرَاءَ مُسْتَضْعَفِينَ فَإِنَّ الْوَلَايَةَ مَعَهُمْ قَائِمَةٌ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ وَاجِبَةٌ، حَتَّى لَا تَبْقَى مِنَّا عَيْنٌ تَطْرِفُ، حَتَّى نخرج إلى استنقاذِهم إِنْ كَانَ عَدَدُنَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ، أَوْ نَبْذُلَ جَمِيعَ أَمْوَالِنَا فِي اسْتِخْرَاجِهِمْ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ دِرْهَمٌ، كَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ وَجَمِيعُ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى مَا حَلَّ بِالْخَلْقِ فِي تَرْكِهِمْ إِخْوَانَهُمْ فِي أَسْرِ الْعَدُوِّ وَبِأَيْدِيهِمْ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ، وَفُضُولُ الْأَحْوَالِ وَالْقُدْرَةُ وَالْعَدَدُ، وَالْقُوَّةُ وَالْجَلَدُ» (٣٧).

---

(٣٧) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٥٧، ويراجَع: أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (المتوفَّى ٥٤٣هـ)، ٢/ ٤٤٠، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ»(٣٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٣٩).

وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا العَانِيَ»(٤٠).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»(٤١).

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ

---

(٣٨) رواه أحمد في المسند ٩/ ٢٥٩ رقم ٥٣٥٧.

(٣٩) رواه الترمذيّ في ك أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ ب مَا جَاءَ فِي شَفَقَةِ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ ٤/ ٣٢٥ رقم ١٩٢٧، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَفِي البَابِ عَنْ عَلِيٍّ، وَأَبِي أَيُّوبَ.

(٤٠) رواه البخاري في ك المَرْضَى ب وُجُوبِ عِيَادَةِ المَرِيضِ ٧/ ١١٥ رقم ٥٦٤٩. و«العَانِي»: الأَسِيرُ.

(٤١) رواه البخاري في ك الإِكْرَاهِ ٩/ ٢٢ رقم ٦٩٥٢، وفي ك المَظَالِمِ ب أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ٣/ ١٢٨ رقم ٢٤٤٤.

مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ؛ أَذَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، ومَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ »(٤٣).

وعن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ»(٤٤).

---

(٤٢) رواه أحمد في المسند ٢٥/ ٣٦١ رقم ١٥٩٨٥، والطبرانيُّ في المعجم الكبير ٦/ ٧٣ رقم ٥٥٥٤، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ١٠/ ١٠٠ رقم ٧٢٢٧، وقال الهيثميُّ: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، ٧/ ٢٦٧، مكتبة القدسي - القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٤٣) رواه البخاري في ك المَظَالِمِ ب لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُه ٣/ ١٢٣ رقم ٢٤٤٢، ومسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ٤/ ١٩٩٦رقم ٢٥٨٠.

(٤٤) رواه أبو داود في ك الجهاد ب فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ ٣/ ٨٠ رقم ٢٧٥١، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وقوله ﷺ: (تَتَكَافَأُ) بِالْهَمْزِ فِي آخِره أَيْ تَتَسَاوَى (دِمَاؤُهُمْ) أَيْ فِي الْقِصَاص وَالدِّيَات، =

وعن جابر بنِ عبدِ الله وَأَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما من امرئٍ يخذُلُ امرَأً مسلماً في موضعٍ تُنتهَكُ فيه حرمتُهُ،

= لَا يُفَضَّل شَرِيف عَلَى وَضِيع كَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّة، (يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ): أَيْ بِأَمَانِهِمْ (أَدْنَاهُمْ): أَيْ عَدَدًا وَهُوَ الْوَاحِد، أَوْ مَنْزِلَةً، قَالَ فِي شَرْح السُّنَّة: أَيْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِذَا آمَنَ كَافِرًا حَرُمَ عَلَى عَامَّة الْمُسْلِمِينَ دَمُه وَإِنْ كَانَ هَذَا الْمُجِير أَدْنَاهُمْ، مِثْل أَنْ يَكُون عَبْدًا أَوْ اِمْرَأَة أَوْ عَسِيفًا تَابِعًا أَوْ نَحْو ذَلِكَ فَلَا يُخْفَر ذِمَّته، (وَيُجِير عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ بَعْض الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ قَاصِي الدَّار إِذَا عَقَدَ لِلْكَافِرِ عَقْدًا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَنْقُضهُ وَإِنْ كَانَ أَقْرَب دَار مِنْ الْمَعْقُود لَهُ، (وَهُمْ يَد عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ): قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: أَيْ الْمُسْلِمُونَ لَا يَسَعهُمْ التَّخَاذُل بَلْ يُعَاوِن بَعْضهمْ بَعْضًا عَلَى جَمِيع الْأَدْيَان وَالْمِلَل، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَى الْيَد الْمُظَاهَرَة وَالْمُعَاوَنَة إِذَا اِسْتُنْفِرُوا وَجَبَ عَلَيْهِمْ النَّفِير وَإِذَا اسْتُنْجِدُوا أَنْجَدُوا وَلَمْ يَتَخَلَّفُوا وَلَمْ يَتَخَاذَلُوا، وَفِي النِّهَايَة: أَيْ هُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ لَا يَسَعهُمْ التَّخَاذُل بَلْ يُعَاوِن بَعْضهمْ بَعْضًا، كَأَنَّهُ جَعَلَ أَيْدِيهمْ يَدًا وَاحِدَة وَفِعْلهمْ فِعْلًا وَاحِدًا، (يَرُدّ مُشِدّهمْ عَلَى مُضْعِفهمْ): قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُشِدّ الْمُقَوِّي الَّذِي دَوَابّه شَدِيدَة قَوِيَّة، وَالْمُضْعِف مَنْ كَانَتْ دَوَابّه ضِعَافًا، وفي النِّهَايَة: يُرِيد أَنَّ الْقَوِيّ مِنْ الْغُزَاة يُسَاهِم الضَّعِيف فِيمَا يَكْسِبهُ مِنْ الْغَنِيمَة، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: وَجَاءَ فِي بَعْض طُرُق الْحَدِيث الْمُضْعِف أَمِير الرُّفْقَة، أَيْ يَسِيرُونَ سَيْر الضَّعِيف لَا يَتَقَدَّمُونَهُ فَيَتَخَلَّف عَنْهُمْ وَيَبْقَى بِمَضْيَعَةٍ، (وَمُتَسَرِّيهمْ): بِالتَّاءِ الْفَوْقَانِيَّة وَبَعْدهَا سِين ثُمَّ الرَّاء ثُمَّ الْيَاء التَّحْتَانِيَّة، وَفِي بَعْض النُّسَخ مُتَسَرِّعهمْ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَة بَعْد الرَّاء، قَالَ السُّيُوطِيُّ: هُوَ غَلَط، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُتَسَرِّي هُوَ الَّذِي يَخْرُج فِي السَّرِيَّة، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَخْرُج الْجَيْش فَيَنْحُوا بِقُرْبِ دَار الْعَدُوّ ثُمَّ يَنْفَصِل مِنْهُمْ سَرِيَّة فَيَغْنَمُوا فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ مَا غَنِمُوا عَلَى الْجَيْش الَّذِي هُوَ رِدْءٌ لَهُمْ لَا يَنْفَرِدُونَ بِهِ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ خُرُوج السَّرِيَّة مِنْ الْبَلَد فَإِنَّهُمْ لَا يَرُدُّونَ عَلَى الْمُقِيمِينَ شَيْئًا فِي أَوْطَانهم. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ٧/ ٣٠٢ - ٣٠٣، دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٨م.

ويُنتقَصُ فيه من عِرْضِهِ، إلا خذلَهُ اللهُ في موطِنٍ يُحبُّ فيه نُصرَتَهُ، وما من امرئٍ ينصُرُ مُسلِماً في موضعٍ يُنْتَقَصُ فيه مِن عِرْضِهِ، ويُنتهَكُ فيهِ من حُرمتِه إلا نصرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصرتَه»(٤٥).

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ»(٤٦).

لقد هبَّ أَحَدُ المسلمين ـ على عهد النبيِّ ﷺ ـ لنجْدَة امرأةٍ مسلمة، وقدَّمَ رُوحَه دِفاعا عن عِرْضِها الذي تَعمّد يهوديٌّ أثيمٌ مِن بني قينقاع التعدِّيَ على حُرْمتِه، الأمر الذي كان سببا في وقوع الحربِ بينهم وبين المسلمين.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ

---

(٤٥) رواه أبو داود في ك الأدب ب من رَدَّ عن مسلم غِيبةً ٧/ ٢٤٥ رقم ٤٨٨٤، والطبرانيُّ في الأوسط ٨/ ٢٨٢ رقم ٨٦٤٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٧): إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٤٦) رواه الطبرانيُّ في المعجم الكبير ١١/ ٢٦٠ رقم ١١٦٧٥، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ١٠/ ٦٦ رقم ٧١٧٣. وأورده الحافظ المنذريُّ في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠٧، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ)، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ بِإِسْنَاد حسن.

بِجَلَبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ[٤٧].

«إن خذلان المسلم شيء عظيم، وهو إن حدث ذريعة خذلان المسلمين جميعا، إذ سيقضي على خلال الإباء والشهامة بينهم، وسيخنع المظلوم طوعا أو كرها لما وقع به ضيم، ثم ينزوي بعيدا وتنقطع عرى الأخوّة بينه وبين مَن خذلوه.

وقد هان المسلمون أفرادا وهانوا أمما، يوم وهَتْ أواصر الأخوّة بينهم، ونظر أحدُهم إلى الآخر نظرة استغرابٍ وتنكُّرٍ، وأصبح الأخ يُنتقَص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضي لشأنه كأن الأمر لا يعنيه !»[٤٨].

نصرةُ النبي ﷺ لقبيلة خزاعة

فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِن السَّنَةِ السّادِسَةِ للهِجْرة خَرَج رسُولُ الله ﷺ مُعْتَمِرًا، لَا يُرِيدُ حَرْبًا[٤٩]، وقد أكدّ لقريش أنه «إنما جاء زائراً

(٤٧) السيرة النبوية ٢/ ٤٧ ـ ٤٨، والجلَب (بتحريك اللَّام): كل مَا يُجلَب للأسواق لِيُباع فِيهَا.
(٤٨) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٧٤، دار الريان للتراث – القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
(٤٩) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٠٨ بتصرف.

للبيت، ومعَظِّماً لحرمته»[٥٠].

ولكـن قريشـاً أبَـتْ إلاّ أن تَـرُدّ رسـولَ الله ﷺ والمسـلمين الـذين جاءوا قاصدين العمرةَ وزيارة البيت الحرام معه ﷺ، وآلَ الأمْرُ ـ كـما رَوتْ كتبُ السيرة ـ إلى التوصُّل إلى صلح الحديبية[٥١] المعروف، والذي كان من مضامينه عَقْدُ هُدْنةٍ بين الرسول ﷺ وبين قريش، لمدة عشر سنوات، يأْمَن الناسُ في أثنائِها، ويَكُفُّ بعضهم عن بعض، كما تضمَّن أيضاً: أنَّ مَن أحَبَّ أنْ يَدخُل في عَقْدِ الرسولِ ﷺ وعهْدِه دخَل فيه، ومن أحَبَّ أن يَدخُل في عَقْد قريشٍ وعَهْدِهم دخَل فيه.

وقد دخلَتْ قبيلةُ «خزاعة» في عَقْد النبي ﷺ وعَهْده، ودخلَتْ «بنو بكر» في عقْد قريشٍ وعهْدِهم[٥٢].

«فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ ـ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا، بِمَاءٍ يُقَال لَهُ: الْوَتِيرُ ـ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ

---

(٥٠) السابق ٢/ ٣١١.

(٥١) الْحُدَيْبِيَةُ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَتُشَدَّدُ يَاؤُهَا وَتُخَفَّفُ: توجد عَلَى مسافة اثنين وعشرين كيلو متراً غَرْبَ مَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ جَدَّةَ الْقَدِيمِ، وبِهَا مَسْجِدُ الشَّجَرَةِ، قِيلَ إنَّ مَكَانَهُ لَمْ يَثْبُتْ، وَهُوَ الْيَوْمَ مُهَدَّمٌ، وَبِهَا بُوَيْتَاتٌ يَعُدُّهَا النَّاظِرُ، وَمَسْجِدٌ غَيْرَ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ يُصَلَّى فِيهِ، وَهِيَ خَارِجُ الْحَرَمِ غَيْرُ بَعِيدَةٍ مِنْهُ، عَلَى مَرْأًى. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (المتوفَّى ١٤٣١هـ)، ص ٩٤ باختصار وتصرف، دار مكة للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

(٥٢) يُراجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣١٦ وما بعدها.

مَكَّةَ ـ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ، فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ [أي الخَيل] وَالسِّلَاحِ، وَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ، لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ » (٥٣).

وهجمَتْ بنو بكر يقودهم رجلٌ يُسمَّى «نَوْفَل بْن مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيّ» علي خزاعة، وقد أمدَّتْهم قُرَيْشٌ بِالسِّلَاحِ والرِّجال، حَتَّى حَازُوا خُزَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ، قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ: يَا نَوْفَلُ، إِنَّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ، إِلَهَكَ إِلَهَكَ، فَقَالَ: كَلِمَةً عَظِيمَةً، لَا إِلَهَ لَهُ الْيَوْمَ، يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ، فَلَعَمْرِي إِنَّكُمْ لَتَسْرِقُونَ فِي الْحَرَمِ، أَفَلَا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فِيهِ (٥٤).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقُرَيْشٌ عَلَى خُزَاعَةَ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانَ فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ، خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا هَاجَ فَتْحَ مَكَّةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النَّاسِ، فَقَالَ:

---

(٥٣) البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفَّى ٧٧٤هـ) ٦/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر – القاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٥٤) السيرة النبوية ٢/ ٣٩٠ بتصرف.

يَـــــا رَبِّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا ** حِلْفَ أَبِينَـــا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا (٥٥)
قَـــدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ** ثُمَّتَ أَسْــلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا (٥٦)
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَعْتَدَا ** وَادْعُ عِبَــادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا (٥٧)
فِيهِمْ رَسُــــولُ الله قَدْ تَجَرَّدَا ** إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا (٥٨)
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ** إنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُـوكَ الْمُوْعِدَا (٥٩)
وَنَقَضُـــــوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا ** وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّـدَا (٦٠)
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ** وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَـــــدَدَا

---

(٥٥) ناشد: طالِبٌ ومذكِّر . والأتْلد: القديم . (السابق ٢/ ٣٩٤ من حواشي المحقق).

(٥٦) يُرِيدُ أَنّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أُمّهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَذَلِكَ قُصَيّ. أُمّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدٍ الْخُزَاعِيّةُ وَالْوُلْدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ .وَقَوْلُهُ ثُمّتَ أَسْلَمْنَا، هُوَ مِنْ السّلْمِ لِأَنّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بَعْدُ؛ غَيْرَ أَنّهُ قَالَ: رُكّعًا وَسُجّدَا، فَدَلّ عَلَى أَنّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلّى للهِ فَقُتِلَ، وَاَللهُ أَعْلَمُ. (الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٧/ ١٩٨).

(٥٧) أَعْتَد: حَاضر، من الشَّيْء العتيد، وَهُوَ الْحَاضِر، والمدد: العون. (السيرة النبوية ٢/ ٣٩٤، من حواشي المحقق).

(٥٨) تجرد: من رَوَاهُ بِالْحَاء الْمُهْملَة، فَمَعْنَاه، غضب: وَمن رَوَاهُ بِالْجِيم، فَمَعْنَاه: شمّر وتهيأ للحرب، وسيم: طلب مِنْهُ وكلف. والخسف: الذل، وَتَربَّد: تغير إِلَى السوَاد. (السابق، نفس الموضع) .

(٥٩) الْفَيْلَقُ: الْجَيْشُ وَالْجَمْعُ: الْفَيَالِقُ، (مختار الصحاح، ص ٢٤٣). والمقصود: العَسْكرُ الكثير.

(٦٠) كداء بِوَزْن سَحَاب: مَوضِع بِأَعْلَى مَكَّة، ورُصّد كرُكّع جمع راصِد، وَهُوَ الطَّالِب للشَّيْء الّذي يَرقُبه، وَيجوز أَن يكون رَصَداً كسَبَب، وَهُوَ بِمَعْنى الأول. (السيرة النبوية ٢/ ٢٩٥، مِن حواشي المحقق).

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدًا ** وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا (٦١)

يَقُولُ: قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنُ سَالِمٍ. ثُمَّ عَرَضَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَنَانٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ» (٦٢).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ غَضِبَ فِيمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ بَنِي كَعْبٍ غَضَبًا لَمْ أَرَهُ غَضِبَهُ مُنْذُ زَمَانٍ، وَقَالَ: «لَا نَصَرَنِيَ اللهُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ»، قَالَتْ: وَقَالَ لِي: «قَوْلِي لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَتَجَهَّزَا لِهَذَا الْغَزْوِ»، قَالَ: فَجَاءَا إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَا: أَيْنَ يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ؟ قَالَ: فَقَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِيمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ بَنِي كَعْبٍ غَضَبًا لَمْ أَرَهُ غَضِبَ مُنْذُ زَمَانٍ مِنَ الدَّهْرِ (٦٣).

---

(٦١) الْوَتِيرُ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ: هُوَ مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ جَنُوبَ غَرْبِيِّ مَكَّةَ عَلَى حُدُودِ الْحَرَمِ، يَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ (١٦) كَيْلًا، وَهُوَ مِنْ دِيَارِ خُزَاعَةَ قَدِيمًا وَحَالِيًّا. (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٣٣١). وهَجَدَ وتَهَجَّدَ، أي نام ليلاً. وهَجَدَ وتَهَجَّدَ أي سهِر، وهو من الأضداد. (مختار الصحاح ص ٣٢٤).

(٦٢) السيرة النبوية ٢/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٦٣) أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي (المتوفَّى ٣٠٧هـ) في المسند ٧/ ٣٤٣ رقم ٤٣٨٠، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده حسن، دار المأمون للتراث - دمشق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. وأوردَه الهيثميُّ في مجمع الزوائد (٦/ ١٦١ - ١٦٢)، وقال: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ حِزَامِ بْنِ هِشَامِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْهَا، وَقَدْ وَثَّقَهُمَا ابْنُ حِبَّانَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وهكذا لم يتوان الرسول ﷺ عن نصرة إخوانه وحلفائِه، وأسرع في إغـاثتهم وردِّ العـدوان عـنهم، وشرع مـن فـوره يجهِّـز عمليـا لنصرـة المظلوم، وكسر شوكة الظالمين المعتدين.

تُـرَى كـم في الأمـة الإسـلامية اليـوم وأمـسِ مِـن أمثـال «عَمْـرو بْـنِ سَالِمٍ» يستغيث ويستنصر .. ولا مغيث ولا ناصر ؟!

كم في الأمة من أمثال «عَمْرو بْنِ سَالِمٍ» يستنصر بإخوانـه في الـدين، ويسـتجير بهـم مـن بطـش أعـداء جبـارين، لا يرقبـون في مـؤمن إلاًّ ولا ذمة؛ في كشمير، وفلسطين، وبورما، والصين ... وفي غيرها ؟!

كم من ألوف مؤلفة قضوا نحبهم، وأزهقت أرواحهـم وهـم ركـوع سجّد، بيد الشيوعيين ملاحدةِ العصر، في بـلاد مـا كـان يُعـرف بالاتحـاد السوفيتي البائد، ومثلهم بيد عُبّادِ البقر في الهنـد، في ظـل حكـم «أنـديرا غانـدي» في ولايـة آسـام، ومـثلهم في يوغسـلافيا بيـد هولاكـو العصرـ «تيتـو» في منتصـف القـرن العشرـين، ومـثلهم في أثيوبيـا بيـد «هيلاسلاسي» ... واستغاثوا وما أغاثهم أحد، واستنصروا ومـا تحـرك لنصرتهم ولا لدفْع البغيِ عنهم أحدٌ مِـن حكّـام المسـلمين، وأولي الأمـر فيهم !!

إن في الأمـة الإسـلامية اليـوم ملايـين مـن أمثـال «عَمْـرو بْـنِ سَـالِمٍ» رجالا ونساء وأطفالا ينتظرون من يقول لهم بلسان المقال والحـال معـا: نُصَرْتم يا إخواننا .. ولا نصرنا الله إن لم ننصركم.

ثالثا: التــكافل والتــــراحم

إن مـن أوْكـدِ حقـوقِ الأخـوّةِ بـين المسـلمين وأوْلاهـا، أن يحمـل بعضُهم عبءَ بعضٍ، وأن يبادروا إلى مساعدةِ بعضِـهم ما استطاعوا إلى ذلـك سـبيلا، وخاصـة إذا كـان أحـدٌ مـن المسـلمين بحاجـةٍ إلى مساعدة إخوانه، فإذا حلَّتْ بمسلم نازلةٌ من النوازل الـدَّهر، أو نائبـةٌ من نوائب الزمان، أو اجتاحتْه جائِحةٌ في نفسه أو عِرْضِه أو مالِه، كان من حقه على المسلمين أن يَمُـدُّوا لـه يـدَ التكافـل والمرحمة، وأن يقفـوا بجانبه مـؤازرين لـه ومواسـين، ووجـب علـيهم أن لا يتركـوه فريسـةً للضياع والهلاك، أو غرضا لسهام المصائب، وغوائل الفقر والبـؤس، وأن يكونوا عونا له على اجتياز المحن، والنجـاةِ مـن عاديـات الضّرّاء والبأساء.

ولقد حفلت آيات القـرآن الكـريم وأحاديـث النبـي ﷺ بـما يؤكـد هذا المبدأ، ويرسخه بين المسلمين.

قال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧].

وقال سبحانه: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَـةُ * فَـكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَـوْمٍ ذِي مَسْـغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَـةٍ * أَوْ مِسْـكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَـةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [البلد: ١١ – ١٨] .

وقال عز وجل: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَـدُعُّ

الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُـمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [سورة الماعون: ١ – ٧].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَـةً مِـنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَـلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْـلِمٍ سَـتَرَ اللهُ عَلَيْـهِ فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ، وَ اللهُ فِي عَـوْنِ الْعَبْـدِ مَـا كَـانَ الْعَبْـدُ فِي عَـوْنِ أَخِيهِ»(٦٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُـهُ وَلَا يُسْـلِمُهُ، ومَـنْ كَـانَ فِي حَاجَـةِ أَخِيـهِ كَـانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَـا كُرْبَـةً مِـنْ كُرُبَـاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٦٥).

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْـنُ فِي سَـفَرٍ مَـعَ النَّبِـيِّ ﷺ إِذْ

---

(٦٤) رواه أبو داود في ك الأدب ب فِي الْمَعُونَةِ لِلْمُسْلِمِ ٤/ ٢٨٧ رقم ٤٩٤٦، والترمذي في ك البِرِّ وَالصِّلَةِ ب مَا جَاءَ فِي السَّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِ ٤/ ٣٢٦ رقم ١٩٣٠ وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابن ماجه في ك أَبْوَابُ السُّنَّةِ ب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْـمِ ١/ ١٥٢ رقم ٢٢٥، والنسائي في السنن الكبرى ك الرَّجْمِ ب التَّرْغِيبُ فِي سَتْرِ الْعَوْرَةِ ٦/ ٤٦٦ رقم ٧٢٤٨.

(٦٥) رواه البخـاري في ك الْمَظَـالِمِ ب لاَ يَظْلِـمُ الْمُسْـلِمُ الْمُسْـلِمَ وَلاَ يُسْـلِمُه ٣/ ١٢٣ رقـم ٢٤٤٢، ومسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ٤/ ١٩٩٦رقم ٢٥٨٠.

جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ(٦٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»(٦٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ:

---

(٦٦) رواه مسلم في ك اللُّقَطَةِ ب اسْتِحْبَابِ المُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ المَالِ ٣/ ١٣٥٤ رقم ١٧٢٨، وأبو داود في ك الزكاة ب في حقوق المال٣/ ٩٦ رقم ١٦٦٣.

(٦٧) رواه البخاري في ك النَّفَقَاتِ ب فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ ٧/ ٦٢ رقم ٥٣٥٣، ومسلم في ك الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ب الإِحْسَانِ إِلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ ٤/ ٢٢٨٦رقم ٢٩٨٢.

اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي »(٦٨).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»(٦٩).

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ» (٧٠).

ولقد شرع الإسلام الكثير من التشريعات التي تعمّق مبدأ التكافل والتراحم والمواساة بين المسلمين، مثل الزكاة والصدقة، وصلة الرحم وتحريم الاحتكار، ونحو ذلك من التشريعات التي تصنع مجتمعا متكافلا، ليس فيه جائع ولا عريان.

---

(٦٨) رواه مسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ب فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ ٤/ ١٩٩٠ رقم ٢٥٦٩، وابن حبان في صحيحه ك الإيمان ب مَا جَاءَ فِي الصِّفَاتِ ١/ ٥٠٣ رقم ٢٦٩.

(٦٩) رواه البخاري في ك الشَّرِكَةِ ب الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ ٣/ ١٣٨ رقم ٢٤٨٦، ومسلم في ك فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ب مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٤/ ١٩٤٤رقم ٢٥٠٠.

(٧٠) رواه البخاري في ك التَّوْحِيدِ ب قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ٩/ ١١٥ رقم ٧٣٧٦، ومسلم في ك الْفَضَائِلِ ب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ ٤/ ١٨٠٩رقم ٢٣١٩.

وإنـه لمـن المؤسـف أن نـرى كثـيرين مـن المسـلمين في أنحـاء العـالم يكتـنفهم الفقـر وتـدهمهم الجـوائح، ويلفهـم الأسـى، مـع أن العـالم الإسـلامي ـ في جملتـه ـ غنـيٌّ بـالثروات التـي حبـاه الله تعـالى بهـا [٧١]، والتي يمكن أن تسهم إلى حـد كبـير في تضـييق رقعـة الفقـر، وانتشـال فقراء المسلمين من حمْأته، ودفْعِ غوائلِه عنهم !!

ولكن أنَّى هـذا التكافـل والحـال أن الأخـوّة الإسـلامية مغيَّبـةٌ، أو مخدَّرة على مستوى الأمة ؟!!

مواساةُ الأنصار لإخوانهم المهاجرين وكفالتُهم

ولقـد قـدَّم الأنصـار نموذجـا للتكافـل والـتراحم بـين المسـلمين، سيظلُّ أعظمَ وأنبلَ ما عرفتْه الدُّنيا، مُتمَـثِّلا فـيما جـادَتْ بـه أخلاقهـم الكريمة، وصنعتْه مواقفُهم النبيلةُ مع إخوانهم المهـاجرين، يـوم لاذُوا بهـم في المدينـة المنّـورة، مهـاجرين في سـبيل الله، تـاركين مِـن خَلْفهـم أهلِيهم وديارَهم وأموالهم.

لقدْ قَدِم المهـاجرون مِـن مكـةَ إلى المدينـةِ وهـم في حـال مِـن الفاقـة والحاجة لا يُحسَدُون عليها، فوجـدوا إخـوانَهم الأنصـارَ في اسـتقبالهم بصـدورٍ منشرـحة، ونفـوسٍ سِـمَاحٍ، وأيْـدٍ مبسـوطة بـالبر والعطـاء؛

---

(٧١) لمن أراد الوقوف على صورة موجزة لأهمية العالم الإسلامي وما يملكه مـن ثـروات وفيرة ومتنوعـة؛ يراجَع: حـاضر العـالم الإسـلامي وقضـاياه المعـاصرة، د. جميـل عبـد الله محمد المصري، ص٢٧ وما بعدها، مكتبة العبيكان، ط الخامسة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

يواسونهم بالأموال، ويُؤْنسونهم بالحُبّ والوِصال، فكانوا في الكرم وحسن السجايا مثلا يحتذى، وبلغوا في الفضل مبلغا استحقوا به ثناءَ الله تعالى عليهم، ومَدْحَه سبحانه لهم، حيث قال جل ثناؤُه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَإِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا مَا دَعَوْتُمُ اللهَّ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»(٧٢).

وما أمرُ «سعدِ بن الربيع» و«عبدِ الرحمن بنِ عوف» مِنّا ببعيد!!

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مُهَاجِرًا، آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: لِي مَالٌ فَنِصْفُهُ لَكَ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا

---

(٧٢) رواه الترمذي ك صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ٤/ ٦٥٣ رقم ٢٤٨٧، وقال: « حَسَنٌ صَحِيحٌ »، وأحمد في المسند ٢٠/ ٣٦١ رقم ١٣٠٧٥، والبيهقيُّ في السنن الكبرى ك الهِبَاتِ ب شُكْرِ المَعْرُوفِ ٦/ ٣٠٢ رقم ١٢٠٣٤، والطبرانيُّ في المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٩ رقم ٧٢٩٢، والحاكم في المستدرَك ٢/ ٧٢ رقم ٢٣٦٨ وقال: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ»، ووافقه الذهبيّ.

تَزَوَّجْتُهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ ... الحديث (٧٣).

وهكذا رسم الأنصار صورة عملية فذّة للأخوّة الصادقة، التي قامت على الإيمان، تقِف الإنسانيةُ أمامَها بالتبجيل والإعظام إلى يوم الدِّين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ورضي عنهم.

مِن عجائب التكافل والمواساة لدى عثمانَ بنِ عفانَ

قال صاحب كتاب «غُرَر الخصائصِ الواضحة»:

وأصاب الناسَ قحطٌ في خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فلما اشتدّ بهم الأمرُ جاءوا إلى أبي بكر وقالوا: يا خليفةَ رسولِ الله إنّ السماء لم تُمطِر والأرضَ لم تُنبِت، وقد تَوقَّع الناسُ الهلاك، فما نصنع؟ فقال لهم: انصرفوا واصبروا، فإني أرجو الله أن لا تُمْسُوا حتى يفرّج الله عنكم.

فلما كان في آخر النهار ورَدَ الخبرُ بأن عِيراً لِعثمان بنِ عفان جاءت من الشام، وتُصَبِّح المدينةَ، فلما جاءت خرج الناس يتلقَّوْنها، فإذا هي ألفُ بعير مُوسَقة [أي مُحَمَّلة] بُرًّا وزَيْتا وزبيبا، فأناخت بباب عثمان، فلما جعلها في داره جاء التُّجَّار، فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد ! بِعْنا مِن هذا الذي وصل إليك، فإنك تعلم ضرورة

---

(٧٣) رواه أحمد ٢٠/ ٣٨٤ رقم ١٣١٢٣، وقد سبق إيراد الحديث بتمامه مِن رواية البخاريّ، في ص ١٩ ـ ٢٠

الناس إليه ! قال: حُبًّا وكرامة، كم تُرْبِحونني على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين، قال: أُعْطيتُ زيادة على هذا، قالوا: أربعة، قال: أُعطيتُ زيادة على هذا، قالوا : خمسة، قال: أُعْطيتُ أكثرَ من هذا، قالوا: يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجّارٌ غيرُنا، وما سبقَنا إليك أحد، فمن ذا الذي أعطاك ؟!! قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة ؟ قالوا: لا، قال: فإنِّي أُشهِد اللهَ أنِّي جعلتُ ما حملَتْ هذه العيرُ صدقة لله على المساكينِ وفقراءِ المسلمين(٧٤).

فهل يضع المسلمون اليوم هذه النماذجَ وأمثالَها نُصْبَ أعينِهم، ويطبّقونها فيما بينهم، فيصلون إخوةً لهم فقراءَ، بما وسّع الله عليهم، ويواسونهم في محَنِهم؛ فيكسون عاريَهم ويُطعِمون جائعَهم، ويَجْمَعون شمْلَ المشرَّدين منهم، ويُخفِّفون مِن وطْأةِ المصائب التي حلّت بهم ؟!

رابعا: ترك القطيعة بين المسلمين والحفاظ على صلاح ذات البين:

وإذا كان المسلمون كالجسد الواحد، أو كالبنيان يشد بعضه بعضا، ـ كما وصفهم رسول الله ﷺ ـ؛ فإنّ هذا من شأنه أن لا تكون بينهم فُرقة، ولا أن يسود بينهم الهِجْرَان، وفسادُ ذاتِ البين، بل يجدُر بهم أن يسود بينهم التواصل والتلاحم، ويتعمَّقَ بينهم الوئامُ والرِّفَاءُ.

(٧٤) غُرَر الخصائص الواضحة، وعُرَر النقائض الفاضحة، برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفَّى ٧١٨هـ)، ص ٣١٠ ـ ٣١١، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

إنّ أكثر ما تنشرح له صدور أعداء الإسلام والمسلمين، وتَقَرُّ بِه أعينُهم، أن يكون المسلمون متقاطعين متدابرين، متهَاجرين متخاصين، وأن يقع بينهم فسادُ ذاتِ البين، فيَعْقُبَ ذلك وينتجَ عنه أن يصيروا شيعا وأحزابا، وتذهبَ رِيحُهم، فيَضْعُفوا ويَقوَى عدُوُّهم.

من أجل هذا وغيرِه نهى الإسلامُ نهْيا حاسِما عن القطيعةِ بين المسلمين، وأمَرهم أمراً جازِما بإصلاحِ ذاتِ بينِهم.

قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١].

ويأمر الله تعالى بالمبادرة إلى إزالة العداوة والقطيعة التي تقع بين طائفتين من المؤمنين لسبب أو لآخر، فيقول سبحانه: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩].

وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَّ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ»(٧٥).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ -

---

(٧٥) رواه البخاري في ك الأدب ب الهِجْرَةِ ٨/ ٢١ رقم ٦٠٧٦، ومسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ ٤/ ١٩٨٣رقم ٢٥٥٨.

[وفي رواية «يَئِسَ»] - أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(٧٦).

قال الإمام النووي: هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْنَاهُ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَهْلُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنَّهُ سَعَى فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَنَحْوِهَا (٧٧).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (٧٨).

وعنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ

---

(٧٦) رواه مسلم في ك صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ ٤/ ٢١٦٦ رقم ٢٨١٢، والترمذي في ك أَبْوَابُ الـبِرِّ وَالصِّـلَةِ ب مَا جَاءَ فِي التَّبَاغُضِ ٤/ ٣٣٠ رقم ١٩٣٧، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وأحمد ٢٢/ ٢٥٦ رقم ١٤٣٦٦، و ٢٣/ ١١٩ رقم ١٤٨١٦، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٧٣ رقم ٢٠٩٥.

(٧٧) شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٥٦.

(٧٨) رواه مسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب النَّهْيِ عنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ ٤/ ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٥، وأبو داود في ك الأدب ب فيمن يهجر أخاه المسلم ٧/ ٢٧٥ رقم ٤٩١٦، والترمذي في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب مَا جَاءَ فِي الْمُتَهَاجِرَيْنِ ٤/ ٣٧٣ رقم ٢٠٢٣، وأحمد ١٥/ ٢٢ رقم ٩٠٥٣.

يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ» (٧٩).

وعنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» (٨٠).

وعلى المسلم أن يسارعَ بإنهاء القطيعةِ بينه وبين أخيه، ويبادرَ بإفشاء السلام عليه، ويَعمِد إلى أسباب الهجر الذي وقع بينهما فيعملَ على إزالتها، وله بهذا عظيم الأجر والمثوبة، وكان أخوه شريكا في الأجر إذا ردَّ السلام، وإن امتنع فقد باء بالإثم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ، وَخَرَجَ

---

(٧٩) رواه أبو داود في ك الأدب ب فيمن يهجر أخاه المسلم ٧/ ٢٧٤ رقم ٤٩١٥، وأحمد ٢٩/ ٤٥٥ رقم ١٧٩٣٥، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٣٠٧ رقم ٧٧٩، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٠ رقم ٧٢٩٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، ووافقه الذهبيّ.

(٨٠) رواه أبو داود في ك الأدب ب فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ٤/ ٢٨٠ رقم ٤٩١٩، والترمذيّ في ك أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ ٤/ ٦٦٣ رقم ٢٥٠٩، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وأحمد ٤٥/ ٥٠٠ رقم ٢٧٥٠٨، وابن حبان في صحيحه ١١/ ٤٨٩ رقم ٥٠٩٢.

و«الحَالِقَة»: الخَصْلة الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْلِق: أَيْ تُهْلِك وتَستأصِل الدِّين كَمَا يَسْتَأْصِل المُوسَى الشَّعَرَ، وَقِيلَ: هِيَ قَطِيعة الرَّحم والتَّظالُمُ. النهاية لابن الأثير ١/ ٤٢٨.

المُسَلِّمُ مِنَ الْهِجْرَةِ»[٨١].

وإن قَبولَ اعتذارِ المعتذِر من الأمور التي تساعد في تقليل حدوث الهجر بين المسلمين، وتعبيدِ الطريق للوصال والصفاء، وإزالةِ الشحناء والخصومة، ولذلك ينبغي على المسلم أن يقبل اعتذار أخيه إذا جاءه معتذرا، وهذا من باب العفو والصفح الذي ندَبَنا إليه الشرع الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

إن المسلمين إذا تمسكوا بما أمرهم به دينُهم من الوَحْدة وإصلاحِ ذاتِ البين؛ كان حالهم أفضلَ مما هم فيه، وصاروا أعزة أمام أعدائهم، وبرِئوا مما هم فيه من هوان واستضعاف، بلْ ولتغيَّر وجهُ العالَم، ولأعاد خصومُ الإسلامِ وأعداءُ المسلمين حساباتهم مرّاتٍ ومرّاتٍ.

لقد أتى علينا زمانٌ نحن فيه كثيرٌ، ولكنّ كثرتَنا لم تُغْنِ عنا شيئا،

---

(٨١) رواه أبو داود في ك الأدب ب فيمن يهجر أخاه المسلم ٧/ ٢٣٧رقم ٤٩١٢، وصحح ابنُ حجر إسنادَه، (فتح الباري ١٠/ ٤٩٥)، وحسَّن النوويُّ إسنادَه في (رياض الصالحين).

ولم تملأ عيونَ أعدائِنا أو نفوسَهم مهابة، وأضْحتْ كثْرةُ المسلمين التي جاوزت المليار ونصف المليار - بسبب التفرق والتقاطع والهِجران على مستوى الأفراد والجماعات - غُثاءً كغُثاءِ السيل، كما أنذرَ رسولُ الله ﷺ وحذَّر !!

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٨٢).

---

(٨٢) رواه أبو داود في ك الملاحم ب في تداعي الأمم على الإسلام ٦/ ٣٥٥ رقم ٤٢٩٧، وأحمد ٣٧/ ٨٢ رقم ٢٢٣٩٧، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ١٣/ ١٦ رقم ٩٨٨٧، وحسّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وقوله ﷺ (يُوشِكُ الْأُمَمُ) أَيْ: يَقْرُبُ فِرَقُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ (أَنْ تَدَاعَى): حَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، أَيْ: تَتَدَاعَى (عَلَيْكُمْ): بِأَنْ يَدْعُوَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِمُقَاتَلَتِكُمْ وَكَسْرِ شَوْكَتِكُمْ وَسَلْبِ مَا مَلَكْتُمُوهُ مِنَ الدِّيَارِ وَالْأَمْوَالِ (كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ) أَيْ: تَتَدَاعَى، وَالْمَعْنَى: كَمَا يَدْعُو أَكَلَةُ الطَّعَامِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (إِلَى قَصْعَتِهَا) أَيِ: الَّتِي يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا بِلَا مَانِعٍ وَلَا مُنَازِعٍ، فَيَأْكُلُونَهَا عَفْوًا صَفْوًا، كَذَلِكَ يَأْخُذُونَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ بِلَا تَعَبٍ يَنَالُهُمْ، أَوْ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ، أَوْ بَأْسٍ يَمْنَعُهُمْ.

(فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ) أَيْ: أَذَلِكَ التَّدَاعِي لِأَجْلِ قِلَّةٍ نَحْنُ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ (قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِير) أَيْ: عَدَدًا وَقَلِيلٌ مَدَدًا، (كَغُثَاءِ السَّيْلِ) أي مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ زَبَدٍ =

خامسا: تعظيم الحرمات بين المسلمين

ومن حقوق الأخوّةِ وواجباتِها بين المسلمين، أن يعظِّمَ كلٌّ منهم حرمةَ أخيه ويصونَها، ويجتنبَ الاعتداءَ عليها، امتثالا لأمر الله عزَّ وجل، وتحقيقا لأَمْنِ وسعادةِ الفردِ والجماعة.

وإنّ أعظم الحرمات التي يجب أن تصان فيما بين المسلمين وأن لا تنتهك؛ ثلاثةٌ وهي: النفْس والعِرْض والمال.

فيجب للمسلم على أخيه أن يعظِّم حُرْمةَ دمِه وعِرْضِه ومالِه، ومِن مسئوليةِ المسلمين فيما بينهم أن يصونوا هذه الحرماتِ الثلاثَ ويحرسوها، حتى يكونَ كلُّ فردٍ في المجتمع المسلم آمنا مطمئنا.

والناظِرُ في الشريعة الإسلامية يجِد أنّ الإسلامَ الحنيفَ يؤكِّد دائما على هذه الحرمات، وأنه لا يسمح أبدا بالعبث بها، أو النَّيل من قدسيّتها على أي وجه من الوجوه.

= وَوَسَخٍ، شَبَّهَهُمْ بِهِ لِقِلَّةِ شَجَاعَتِهِمْ، وَدَنَاءَةِ قَدْرِهِمْ، وَخِفَّةِ أَحْلَامِهِمْ، وَخُلَاصَتُهُ: وَلَكِنَّكُمْ تَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ، ضَعِيفِي الْحَالِ، خَفِيفِي الْبَالِ، مُشَتَّتِي الْآمَالِ، ثُمَّ ذَكَرَ سَبَبَهُ بِعَطْفِ الْبَيَانِ فَقَالَ: (وَلَيَنْزِعَنَّ) أَيْ: لَيُخْرِجَنَّ (اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ) أَيِ: الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ (مِنْكُمْ) أَيْ: مِنْ جِهَتِكُمْ (وَلَيَقْذِفَنَّ) أَيْ: وَلَيَرْمِيَنَّ، أَيِ: اللهُ (فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ) أَيِ: الضَّعْفَ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْوَهْنِ مَا يُوجِبُهُ؛ وَلِذَلِكَ فَسَّرَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةِ الْمَوْتِ. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفَّى ١٠١٤هـ)، ٨/ ٣٣٦٥ - ٣٣٦٦ باختصار وتصرف، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م).

ولقد كان ملحوظاً حِرْصُ النبيِّ ﷺ على أن تكون آخِرُ وصاياه للأمة متضمِّنةً التأكيدَ على حرمةِ الدماءِ والأعراضِ والأموالِ، وذلك في أثناء بلاغه العظيمِ عامَ حجةِ الوداع، بل إنه ﷺ كرر هذا أكثرَ مِن مرة، وفي غير موقِفٍ، خلال حَجتِه الخالدة، بأسلوبٍ مؤثِّرٍ بليغ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»(٨٣).

وعن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، أن رسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، وَبَلَدٌ حَرَامٌ، فَدِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ وَهَذِهِ الْبَلْدَةِ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ، وَحَتَّى دَفْعَةٌ دَفَعَهَا مُسْلِمٌ مُسْلِمًا يُرِيدُ بِهَا سُوءًا حَرَامًا، وَسَأُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ»(٨٤).

---

(٨٣) رواه البخاري في ك الحجِ ب الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى ٢/ ١٧٦ رقم ١٧٣٩.

(٨٤) رواه رواه البزار في مسنده ٩/ ٢٠٦ رقم ٣٧٥٢. وقال الهيثمي: رواهُ الْبَزَّارُ =

ولا يخفى أن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة قد حفلت بالكثير والكثير من الحث على صيانة تلك الحرمات، والترهيب من انتهاكها، هذا فضلا عن العديد من التشريعات المحكمة الثابتة التي تضْمن صيانةَ تلك الحقوقِ والحرماتِ بين المسلمين.

حرمة النفس:

فحرمة النفس مقررة بوضوح في الإسلام، إذ يقول الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام: ١٥١].

ويقول سبحانه: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢].

قال ابن كثير رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى: مِنْ أَجْلِ قَتْلِ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَيْ شَرَعْنَا لَهُمْ وَأَعْلَمْنَاهُمْ **{أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**، أَيْ من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَاسْتَحَلَّ قَتْلَهَا بِلَا سَبَبٍ وَلَا جِنَايَةَ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ نَفْسٍ وَنَفْسٍ، **{وَمَنْ أَحْيَاهَا}**، أَيْ حَرَّمَ قَتَلَهَا وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ، فَقَدْ سَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْهُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَلِهَذَا قَالَ: **{فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**.

= وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِاخْتِصَارٍ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ ثِقَاتٌ. مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٨.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: **{فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**، يَقُولُ: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا وَاحِدَةً حَرَّمَهَا اللهُ، فَهُوَ مِثْلُ مَنْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَنِ اسْتَحَلَّ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحَلَّ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيعًا، وَمَنْ حَرَّمَ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيعًا.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ **{أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً}**: هَذَا تَعْظِيمٌ لتعاطي القتل، قال قتادة: عظيمٌ والله وِزْرُها، وعظيمٌ وَالله أَجْرُهَا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَلَام بن مسكي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الرِّبْعِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: هَذِهِ الْآيَةُ لَنَا يَا أَبَا سَعِيدٍ كَمَا كَانَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: إِي وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، كَمَا كَانَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا جُعِلَ دِمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْرَمَ عَلَى الله مِنْ دِمَائِنَا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: **{فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**، قَالَ: وِزْرًا، **{وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}**، قَالَ: أَجْرًا (٨٥).

ويتوعد اللهُ عزَّ وجلَّ قاتلَ النفسِ، ومستحلَّ حرمتِها بأشدّ الوعيد، فيقول جل شأنه: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣].

وعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ

---

(٨٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٣ ، ٨٤ باختصار .

عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»[٨٦].

وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ»[٨٧].

حُرمَة المال

وأما حرمة المال فأمرٌ بيِّنٌ راسخٌ في شريعة الله، وكلُّ امرئٍ مالُه مُصانٌ، ولا يحقُّ لأحدٍ - كائناً مَن كان - أن تمتمدَّ يدُه على مالِ غيرِه دون وجهِ حقٍّ، ولا أن يأخذ شيئا من مال الآخرين إلا عن تراضٍ أو طيبِ نفْسٍ منهم، أو بوسيلة مشروعة كالبيع والشراء، والميراث والهبة أو الهدية، ونحو ذلك.

ثم إن الإسلام يُحرِّمُ ويُجرِّمُ كلَّ ما مِن شأنِه أن يصطدم بحرمة أموال الآخرين وصيانتِها، كالسرقة، والغصب، والاعتداء على الناس وابْتِزازِهم، وإكراههم، أو إلجائِهم إلى بَذْلِ أموالهم بغير طيب نفس منهم، وغير هذا مما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، أو ينالُ مِن حُرمة أموالهم.

---

(٨٦) رواه ابن ماجه في ك الديات ب التغليظ في قتل مسلم ظلماً ٣/ ٦٣٩ رقم ٢٦١٩، وقال في الزوائد: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيح رِجَاله ثِقَات، والنسائي في السنن الكبرى ٣/ ٤١٧ رقم ٣٤٣٥.

(٨٧) رواه الترمذي في ك الدِّيَاتِ ب الحُكْمِ فِي الدِّمَاءِ ٤/ ١٧رقم ١٣٩٨، وصححه الألباني. صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٣١ رقم ٥٢٤٧، ط المكتب الإسلامي.

ويحث الإسلامُ المسلمَ دائما على التعفّف عن أكل واقتراف المال الحرام، وأن يقنعَ بما أحلَّه اللهُ له ورزَقه إياه، وإلا كان آثما.

قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: ١٨٨].

وقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠].

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

ويحذّر النبيُّ ﷺ مَن يستولي على مالِ غيرِه بوسيلة مُحرَّمة، مثل الاحتيال والكذِب، أو التدليس في القول ونحوه.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(٨٨).

(٨٨) رواه البخاري ك الأَحْكَامِ ب مَوْعِظَةِ الإِمَامِ لِلْخُصُومِ ٩/ ٦٩ رقم ٧١٦٨، ومسلم في ك الْأَقْضِيَةِ ب الْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّحْنِ بِالْحُجَّةِ ٣/ ١٣٣٧ رقم ١٧١٣.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»(٨٩).

حرمة الأعراض

ثم إن الإسلام قد أكَّد على حرمةِ الأَعراض وأمَر بصيانتها، وحرَّم المساس بها تحريما قاطعا، ومنَع الاعتداءَ عليها بأيةِ طريقة، فحرَّم الغِيبةَ، ونهى عن السخرية من الآخرين واحتقارِهم والاستهزاء بهم، وكذلك حرَّم الزنا تحريما شديدا، وحرَّم القذْفَ بالسوءِ والبهتان، ونهى عن إشاعة الفاحشة في المجتمع، وغيرِ ذلك مما فيه مساسٌ بحرمةِ الأعراضِ وانتهاكٌ لها.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ

(٨٩) رواه مسلم في ك الإيمان ب وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ ١/ ١٢٢رقم ١٣٧، وأحمد في المسند ٣٦/ ٥٧٦ رقم ٢٢٢٣٩، والنسائي في سننه الكبرى والصغرى، والبيهقيُّ في شعب الإيمان.

رَحِيمٌ} [الحجرات: ١١-١٢].

وقال جل شأنه: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ٢٣].

وقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } [النور: ١٩].

وقال عزّ من قائل: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٩٠].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[٩١].

---

(٩٠) رواه مسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ٤/ ١٩٩٧ رقم ٢٥٨١.

(٩١) رواه البخاري في ك الْمَظَالِمِ ب مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ ... ٣/ ١٢٩-١٣٠ رقم ٢٤٤٩.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهَّ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّاَ بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»(٩٢).

ردّ أبي أيوب عن عِرض أم المؤمنين عائشة

بعد عودة النبيِّ ﷺ من غزوة بنى المصطلق سنة ست من الهجرة أشاع كبير المنافقين عبد الله بن أبيٍّ حديثَ الإفك، والذي تضمَّن اتهام الصديقةِ بنتِ الصديق، ورمْيَها بالبهتان، واستطاع أن يُوَرِّط بعضَ المسلمين في إشاعة هذا الإفكِ في حقِّ أمِّ المؤمنين عائشة الطاهرةِ المطهَّرة.

وقد أَدْخَل هذا الحادثُ الهمَّ والغمَّ على المجتمع المسلم عامة، وبيتِ النبوة خاصة، إلى أن أظهر الله عز وجل براءة السيدةِ عائشةَ مما نسَبَه إليها الأفاكون المفترون، وأنزل الله تعالى هذه البراءةَ في قرآن يتلى إلى يوم الدين، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

في ذلك الجوّ الذي خاض فيه الخائضون، وقال أهل الإفك ما

---

(٩٢) رواه البخاري في ك الحُدُودِ ب رَمْيِ المُحْصَنَاتِ ٨/ ١٥٧ رقم ٦٨٥٧، ومسلم في ك الإيمان ب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ١/ ٩٢ رقم ٨٩.

قالوا؛ ترتسم صورة من الصور المشرقة في مجال حقوق الأخوّة، تلك التي تتمثل في موقف أبي أيوب رضي الله عنه، حين ردّ قَالَةَ السُّوء عن عِرض أمِّ المؤمنين عائشة، وأكَّد لزوجته على نقاء وطُهر زوجِ رسولِ الله ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ:

أَنَّ أَبَا أَيُّوبٍ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً؟

قَالَتْ: لَا وَاَللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاَللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ (٩٣).

هذا الموقف الذي صنعه أبو أيوب رضي الله عنه قد زكّاه الله تعالى، وجعلَه مثالا يحتذى بين المسلمين في مثل تلك الظروف، وندَبَهم إلى أن يتحلَّوا به، حيث قال سبحانه: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ [النور: ١٢].

قال ابن هشام: أَيْ فَقَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَصَاحِبَتُهُ (٩٤).

---

(٩٣) السيرة النبوية ٢/ ٣٠٢ .

(٩٤) السابق ٢/ ٣٠٣.

سادسا: حُبُّ المسلمِ لأخيه ما يحب لنفسه

إنّ مما تقتضيه الأُخوّةُ الإسلامية أنْ يحبَّ كلُّ مسلمٍ لأخيه ما يحب لنفسه، ويَكرَهَ له ما يكرهه لها.

وإن مجتمَعاً يسود بين أفراده حُبُّ الخير لبعضهم البعض، لهو مِن أسعد مجتمعاتِ الدنيا، والعكس صحيح.

إنّ الفردَ الذي يَوَدُّ لأخيه ما يتمنّاه لنفسه، ويكرهُ له ما يَبْغضُهُ لها؛ لا يُرَى إلا ساعياً في تحقيق كلِّ خير له، مُجْتهِدا في إزاحةِ كلِّ شرٍّ وأذىً عنه، فلن يرضي - مثلا - بأن يبيت شبعانَ، في حين يتضوّرُ أخوه جوعا، ولن يهدأَ له بالٌ، أو يَقِرَّ له قرارٌ، بينما أخٌ لهُ قد اكتنفتْه الهموم، وأحاطت به الكروب، ودَهِمَتْهُ البأساء، ولن يسكُتَ عن هتْكِ حرمةِ مسلمٍ، أو ظُلمِه والاعتداءِ عليه، لأنه لا يَرضَى هذا لنفسه، ولن ينشغِل بحسدِ ذوي نِعمةٍ، أو يشتهِيَ زوالَها من أيدِيهم.

وقُل عكْسَ هذا إذا أدْركَ الشقاءُ عبداً؛ فكان ذا قلْبٍ مريضٍ حقودٍ، يَطرَب سرورا لما يَحُلّ بالناس من ضَرّاء، ويغتمّ حُزْنا لما ينالُهم من سراء - والعياذ بالله - .

لهذا وغيره يؤكِّد الإسلام على ضرورةِ أن يمتلِئَ قلبُ المسلمِ بحُبِّ الخيرِ لغيره، بل يُشيرُ النبيُّ ﷺ إلى أنَّ مَن حُرِم هذا الخلقَ فإن إيمانَه يَبْقَى ضعيفا منقوصا.

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا

يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (٩٥).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ! مَهْ! فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا»، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. والله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. والله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (٩٦).

---

(٩٥) رواه البخاري في ك الإِيمَانِ ب مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ١/ ١٢ رقم ١٣، ومسلم في ك الإيمان ب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ ١/ ٦٧ رقم ٤٥.

(٩٦) رواه أحمد في المسند ٣٦/ ٥٤٥ رقم ٢٢٢١١، والطبرانيُّ في المعجم الكبير ٨/ ١٦٢ رقم ٧٦٧٩، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٥ رقم ٥٠٣٢، والحافظ إسماعيل الأصبهانيّ في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٣٠ رقم ١٤٨٥، دار الحديث - القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، وأورده الهيثميُّ في مجمع الزوائد (١/ ١٢٩) وقال: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

زاد في رواية أُخرى: «فَاكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»(٩٧).

وغنيٌّ عن القول أنّ من تَحلَّى بحب الخير لأخيه كما يُحب لنفسه، وكراهة الأذى له كما يكرهه لنفسه؛ لن يُظهرَ الشماتةَ إن أصابَ أخاه مكروهٌ، أو وقع فيما لا يُحسَد عليه، امتثالا لقول الرسولِ ﷺ «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ ـ [وفي رواية: « فَيُعَافِيَهِ»] ـ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»(٩٨).

مِن نوادِر الحب والإيثار

١ ـ موقف أبي عبيدة بْنِ الجرّاح في طاعون " عمَواس "

في السنة الثامنة عشرة من الهجرة وقع أولُ طاعونٍ في الإسلام، وكان هذا في زمن «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، وعُرِف باسم «طَاعُونُ عَمَوَاسَ» (٩٩)، وكان ابتداءُ هذا الوباء ناحية الأردن، ثم فشا

(٩٧) هذه الزيادة جاءت في رواية الأصبهانيّ، وروايةٍ عند الطبرانيّ في مسند الشاميين ٢/ ١٣٩ رقم ١٠٦٦، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

(٩٨) رواه الترمذي في أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ ٤/ ٦٦٢رقم ٢٥٠٦، ـ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ـ، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ٩/ ١١٩رقم ٦٣٥٥، والطبرانيُّ في الأوسط ٤/ ١١٠ رقم ٣٧٣٩، كلهم من حديث واثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ.

(٩٩) طَاعُوْنُ عَمَوَاسَ: مَنْسُوْبٌ إِلَى قَرْيَةِ عَمَوَاسَ، وَهِيَ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَمَّا الأَصْمَعِيُّ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ قَوْلِهِم زَمَنَ الطَّاعُوْنِ: عَمَّ، وَآسَى. (سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١/ ٢٣، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثامنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م).

وقال السهيليّ: هَكَذَا تَقَيّدَ فِي النّسْخَةِ «عَمْوَاسٌ» بِسُكُونِ المِيمِ، وَقَالَ فِيهِ الْبَكْرِيّ فِي =

في أرض الشام وانتشر، فاستُشْهِد فيه خَلْقٌ كثيرٌ مِن المسلمين، بلغوا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا، أو ثَلاثِينَ أَلْفًا، مِنهم «أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الجرّاح» أمين هذه الأمة، وأمير الأمراء بالشام، و«معاذُ بنُ جبل»، وأصاب الناسَ مِن الموت ما لم يَرَوْا مِثلَه، حَتَّى طَمِعَ الْعَدُوُّ، وَتَخَوَّفَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ لِذَلِكَ، ثم رفَعَه اللهُ عنهم بعد إقامته شهوراً [(١٠٠)].

وكان «أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجرّاح» إذْ ذَاكَ قد «وَلِيَ إِمْرَةَ أُمَراءِ الأَجْنادِ بالشّام»[(١٠١)]، فلما فشا الطاعونُ أرسل «عمرُ بنُ الخطاب» إلى «أبي عبيدة» يطلب منه أن يتركَ الشامَ، ويقدَمَ إليه، فوْر وصول كِتابُه، حيثُ رأى «عمرُ» أنّ المصلحةَ تقتضي هذا.

فماذا فعل أبو عبيدة رضي الله عنه ؟!

إن «أبا عبيدة» كان القائدَ الأعلى للجيوش في الشام، ومن

= كِتَابِ الْمُعْجَمِ مِنْ أَسْمَاءِ الْبُقَعِ: «عَمَوَاسٌ» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْعَيْنِ وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالشّامِ عُرِفَ الطّاعُونُ بِهَا لِأَنّهُ مِنْهَا بَدَأَ وَقِيلَ إنّمَا سُمّيَ «طَاعُونَ عَمْوَاسٍ» لِأَنّهُ عَمّ وَآسَى أَيْ جَعَلَ بَعْضَ النّاسِ أُسْوَةَ بَعْضٍ. (الروض الأنف ٤/ ٩٧ ـ ٩٨).

(١٠٠) يراجَع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٣/ ١٧٠، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، البداية والنهاية ١٠/ ٤٤، ٦٨، ٧٦ ـ ٧٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، (المتوفَّى ١٠٨٩هـ) ١/ ١٦٦، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(١٠١) تاريخ الإسلام للحافظ الذهبيّ ٣/ ١٧٢.

الطبيعـيّ أن يَسـتدعِيَ الخليفـةُ قائـدَ جيوشِـه إلى عاصـمة الخلافـةِ للتشاور، خاصة في مثل تلك الظروف الطارئة العصيبة، ولا شـك في أن خروجَه تلْبيةً لأمر الخليفة ظاهِرُه أنه فرصةٌ سـانحة للنجـاة بنفسـه وأهلِه، والإفلات مـن غوائـل الوبـاء الـذي طفِـق يسري بـين النـاس سريانَ اللهَبِ في يابس الحطب، ويشتعل كـما النـار في الهشـيم، ولكـنَّ نفسَـه الزاكيـة، وأخلاقـه العاليـة، التـي لا تعـرف الأثـرة ولا الأنانيـة، وإنما تربّت وطُبِعت عـلى أن يحب المسلم لإخوانـه مـا يحـب لنفسـه، ويكره لهم ما يكرهه لها، بـل يـؤثرهم عليهـا؛ أبـت إلا أن يمكـث بـين إخوانه وجُنْدِه، يشاركهم ويرعـاهم في محنتهم القاسية، حتـى يقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولا.

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ الْبَجَلِيِّ قَالَ: أَتَيْنَا أَبَا مُوسَى وَهُوَ فِي دَارِهِ بِالْكُوفَةِ لِنَتَحَدَّثَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَالَ: لا عَلَيْكُمْ أَنْ تَخِفُّوا (١٠٢)، فَقَدْ أُصِيبَ فِي الدَّارِ إِنْسَانٌ بِهَذَا السَّقَمِ، وَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَزَّهُوا عَنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَتَخْرُجُوا فِي فَسِيحِ بِلَادِكُمْ وَنُزَهِهَا حَتَّى يُرْفَعَ هَذَا الوباءُ.

سَأُخْبِرُكُمْ بِمَا يُكْرَهُ مِمَّا يُتَّقَى؛ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَظُنَّ مَنْ خَرَجَ أَنَّهُ لَوْ أَقَامَ مَاتَ، وَيَظُنُّ مَنْ أَقَامَ فَأَصَابَهُ ذَلِكَ لَوْ أَنَّهُ خَرَجَ لَمْ يُصِبْهُ، فَإِذَا لَمْ يَظُنَّ هَذَا الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ، وَأَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْهُ.

---

(١٠٢) يعني: لا لوْمَ عليكم في أن تبتعدوا.

إِنِّي كُنْتُ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ بِالشَّامِ عَامَ طَاعُونِ عَمَوَاسَ، فَلَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ وَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ؛ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ لِيَسْتَخْرِجَهُ مِنْهُ: أَنْ سَلامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَشَافِهَكَ فِيهَا، فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا أَنْ لَا تَضَعَهُ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُقْبِلَ إِلَيَّ. قَالَ: فَعَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ مِنَ الْوَبَاءِ. قَالَ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ!

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ إِلَيَّ، وَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنْهُمْ، فَلَسْتُ أُرِيدُ فِرَاقَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيَّ وَفِيهِمْ أَمْرَهُ وَقَضَاءَهُ، فَحَلِّلْنِي مِنْ عَزْمَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَعْنِي فِي جُنْدِي.

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الْكِتَابَ بَكَى، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟ قَالَ: لَا، وَكَأَنْ قَدْ.

قَالَ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضًا غَمِقَةً، فَارْفَعْهُمْ إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ نَزِهَةٍ.

فَلَمَّا أَتَاهُ كِتَابُهُ دَعَانِي فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، إِنَّ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَنِي بِمَا تَرَى، فَاخْرُجْ فَارْتَدْ لِلنَّاسِ مَنْزِلًا حَتَّى أَتْبَعَكَ بِهِمْ، فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي لِأَرْتَحِلَ، فَوَجَدْتُ صَاحِبَتِي قَدْ أُصِيبَتْ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ له: وَاللهِ لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِي حَدَثٌ، فَقَالَ لَعَلَّ صَاحِبَتَكَ أُصِيبَتْ! قُلْتُ: نَعَمْ،قال: فَأَمَرَ بِبَعِيرِهِ فَرُحِّلَ لَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي غَرْزِهِ طُعِنَ،

فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أُصِبْتُ.

ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْجَابِيَةَ، وَرُفِعَ عَنِ النَّاسِ الْوَبَاءُ (١٠٣).

٢ ـ عكرمة بن أبي جهلٍ ورفاقه يوم اليرموك

ومن النماذج الرائعة في حبِّ الخيرِ والإيثار للإخوان، ولا نظير لها في التاريخ الإنسانيِّ إلا فيمن تَربَّوا في مدرسة النبوةِ المحمَّدية؛ نسجِّل هذا الموقفَ الذي يُغنِي بمضمونه ودلالاته عن أي تعليق، وهو موقفٌ حدَث في وقعة اليرموك (١٠٤)، وقد سطّره ثُلّة مِن المجاهدين الصالحين في أرض المعركة، وهم على عتبات الآخرة.

أوردَ ابنُ كثير ـ في سياق ذِكرِه لأحداث معركةِ اليرموك وتفاصيلِها ـ: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْغَسَّانِيِّ [يحيى بن يحيى بن قيس]، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

قَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ـ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ ـ: قَاتَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي

(١٠٣) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفَّى ٣١٠هـ) ٤/ ٦٠ ـ ٦١، دار التراث – بيروت، ط الثانية ١٣٨٧هـ. وأورده ابنُ كثير (البداية والنهاية ١٠/ ٤١ ـ ٤٢)، وعزاه إلى الطبري.

(١٠٤) كانت بين المسلمين والروم في سنة خَمْسِ عشْرةَ، وقيل سنة ثَلَاث عشرَة من الهجرة. يُراجَع: البداية والنهاية ٧/ ٤. واليرموك: وادٍ بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن، وكانت من أعظم فتوح المسلمين وباب ما جاء بعدها من الفتوح لأن الروم كانوا قد بالغوا في الاحتشاد فلما كسروا ضعفوا ودخلتهم هيبة. معجم البلدان (٥/ ٤٣٤)، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفَّى ٦٢٦هـ) ٥/ ٤٣٤ باختصار، دار صادر – بيروت، ط الثانية ١٩٩٥م.

مَوَاطِنَ وَأَفِرُّ مِنْكُمُ الْيَوْمَ؟! ثُمَّ نَادَى: مَنْ يُبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ؟ فَبَايَعَهُ عَمُّهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَفُرْسَانِهِمْ، فَقَاتَلُوا قُدَّامَ فُسْطَاطِ خَالِدٍ حَتَّى أُثْبِتُوا جَمِيعًا جِرَاحًا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ، مِنْهُمْ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ، رِضَى اللهُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّهُمْ لَمَّا صُرِعُوا مِنَ الْجِرَاحِ اسْتَسْقَوْا مَاءً، فَجِيءَ إِلَيْهِمْ بِشَرْبَةِ مَاءٍ، فَلَمَّا قُرِّبَتْ إِلَى أَحَدِهِمْ نَظَرَ إِلَيْهِ الْآخَرُ، فَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا دُفِعَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ الْآخَرُ، فَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيْهِ. فَتَدَافَعُوهَا بَيْنَهُمْ، مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا، وَلَمْ يَشْرَبْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ (١٠٥).

وروَى ابنُ الجوزيِّ ـ بإسناده ـ عن ابن الأعرابيِّ قال:

استُشهِد باليرموك عِكرمةُ بنُ أبي جهل، وسهيلُ بنُ عمرو، والحارثُ بنُ هشام، وجماعةٌ مِن بني المُغِيرة، فأُتُوا بماء وهم صَرْعَى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه.

أُتِيَ عكرمةُ بالماء، فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدءوا بذا، فنظر سهيلٌ إلى الحارث بن هشام ينظر إليه، فقال: ابدءوا بذا، فماتوا كلُّهم قبل أن يشربوا، فمرّ بهم خالد، فقال: بنفسي أنتم (١٠٦).

---

(١٠٥) البداية والنهاية ٩/ ٥٦١.

(١٠٦) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ) ٤/ ١٢٣، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

سابعا: التناصح بين المسلمين

وإن القلوبَ المعمورةَ بحُبِّ الخير للناس وكراهيةِ الشرِّ لهم، لن تُثْمرَ إلا تَحلِّياً وتَحقُّقاً بخلُقِ التناصحِ الذي يَقُوم ـ في جوهره ـ على إرادةِ الخير للمنصوح، وإرشادِه إلى ما فيه نَفْعُه.

وقد جعل الإسلامُ النصيحةَ من تشريعاته الراسخة، وحقًّا مؤَكَّدا من حقوق الأخوة بين المسلمين، وذلك لما لها من أهمية بالغة، وأثر عظيمٍ في إصلاح الفرد والجماعة، ولما لها من دورٍ فعّالٍ في صُنْع الحياة الطيبة الراشدة.

ومتى كان المسلمُ أهلا للقيام بالنصيحة، صار لزاما عليه أن يؤدِّيها، حيث إن الناس بحاجة ماسةٍ دائما إلى النُّصح، فالغافل بحاجة إلى من يُذكّره، والعاصي بحاجة ملحّة إلى مَن يَنْصحه ويُقوّمه، والعامِلُ بحاجة كبيره إلى من يثبّته ويؤازره.

ومن سمات المجتمع المسلم قيامُ أفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو في جوهره مظهرٌ من مظاهر التناصح.

قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُّ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١].

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ

الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١٠٧).

وفي رواية أخرى: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١٠٨).

وعن أبي هُرَيْرَةَ أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» (١٠٩).

وعَنْ تَمِيمِ بنِ أوسٍ الدَّارِيِّ أنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١١٠).

---

(١٠٧) رواه البخاري في ك الإِيمَانِ ب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ١/ ٢١ رقم ٥٧، ومسلم في ك الإيمان ب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ١/ ٧٥ رقم ٥٦.

(١٠٨) رواه البخاري في ك الشُّرُوطِ ب مَا يَجُوزُ مِنَ الشُّرُوطِ فِي الإِسْلاَمِ وَالأَحْكَامِ وَالْمُبَايَعَةِ ٣/ ١٨٩ رقم ٢٧١٤.

(١٠٩) رواه مسلم في ك السلام ب مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلَامِ ٤/ ١٧٠٤رقم ٢١٦٢، وأحمد ١٤/ ٤٣٩ رقم ٨٨٤٥ ، وابن حبان في صحيحه ك الإيمان ب ما جاء في صفات المؤمنين ١/ ٤٧٧ رقم ٢٤٢، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ١١/ ٤٠١ رقم ٨٧٣٧.

(١١٠) رواه مسلم في ك الإيمان ب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ١/ ٧٤ رقم ٥٥، وأبو داود في ك الْأَدَبِ ب فِي النَّصِيحَةِ ٤/ ٢٨٦ رقم ٤٩٤٤، والترمذي ٤/ ٣٢٤ رقم ١٩٢٦، والنسائي في الصغرى ٧/ ١٥٦ رقم ٤١٩٧، وأحمد ٢٨/ ١٣٨رقم ١٦٩٤٠.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جُمْلَةٍ هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَحْصُرُهَا وَتَجْمَعُ مَعْنَاهَا غَيْرُهَا، وَأَصْلُ النُّصْحِ فِي اللُّغَةِ: الْخُلُوصُ، يُقَالُ: نَصَحْتُ الْعَسَلَ إِذَا خلّصْتُهُ مِنَ الشَّمْعِ، فَمَعْنَى نَصِيحَةِ اللهِ عَزَّ =

عن الحسن رضي الله عنه قال: إن المؤمن شُعبةٌ مِن المؤمن، وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يُعجبه سَدّده وقوّمه، ونصحَه في السّرّ والعلانية (١١١).

وقال محمد بن واسع: لم يَبقَ مِن العيش إلا ثلاثٌ: الصلاةُ في الجماعةِ تُرزَقُ فَضْلَها، وتُكْفَى سَهْوَها، وكَفَافٌ مِن مَعاشٍ ليستْ لأحدٍ مِن الناسِ عليك فيه مِنّةٌ، ولا لله عليك فيه تَبِعةٌ، وأخٌ مُحسِنُ العِشرةِ، إنْ زِغْتَ قَوَّمَك(١١٢).

وجديرٌ بالذكر أن النصيحة لا تحصُل إلا من عالمٍ ـ على الأقل بما ينصح به، فِعْلا كان أم تَرْكا، أمْراً كان أم نَهْيا ـ مع ضرورة التزام الناصح بآداب النصيحة الأخرى، من إخلاص، ورفق، وحكمة، وصبر، وأناةٍ ... وغيرِها من الآداب.

= وَجَلَّ: الاِعْتِقَادُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وإخلاصُ النيةِ في عبادته، والنصيحة لكتاب الله: الْإِيمَانُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ: التَّصْدِيقُ بِنُبُوَّتِهِ وَبَذْلُ الطَّاعَةِ لَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يُطِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ. معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفَّ ٣٨٨هـ)، ٤/ ١٢٥باختصار، المطبعة العلمية – حلب، ط الأولى ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

(١١١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البُستي (المتوفَّى ٣٥٤ هـ)، ص٣٢٧، تحقيق عادل عبد الموجود، علي محمد معوض. مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة، ط الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(١١٢) السابق، ص ١٤١.

ثامنا: اجتنابُ ترويعِ المسلم

ثم إن من مقتضياتِ الأخوَّة أن يجد الأخُ في رحاب إخوانِه سكينةَ النفس، وطمأنينةَ القلب، وأن لا يصل إليه من جهة إخوانه ما يُروّعه أو يُخِيفُه، أو يعكِّر عليه أمْنَه وطُمَأْنينتَه، ومن هنا كان من حقوق الأخوّة بين المسلمين، أن لا يتعمّد أحدٌ منهم ترويعَ أخيه، أو زعزعةَ أمْنِه بقولٍ أو فِعل، أو تفْزيعَه بأيِّ سببٍ مِن الأسباب.

ويحرص الإسلام دائما على إشاعة أجواء الطمأنينة والأمْنِ النفسيِّ في أنحاء المجتمع، فيحثُّ المسلمَ على إلقاء السلام على مَن يلقاه، سواءٌ أكان يعرفه أمْ لم يكن يعرفه، حيث إن من مقاصدِ تحيةِ الإسلامِ المبارَكةِ وآثارِها؛ التأمينَ والمسالمَةَ، وتبادلَ الإيناسِ والطمأنينةِ بين المسَلِّمِ والمسَلَّمِ عليه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور: ٢٧].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(١١٣).

---

(١١٣) رواه البخاري في ك الإيمان ب إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ ١/ ١٥ رقم ٢٨، ومسلم في ك الإيمان ب بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ ١/ ٦٥ رقم ٣٩.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ»(١١٤).

وينهى الرسولُ ﷺ عن أن يروِّع المسلمُ أخاه ولو كان مازِحا.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا» (١١٥).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا، أَخَذَ نَعْلَ رَجُلٍ فَرَوَّعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَوْعَةَ الْمُسْلِمِ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ» (١١٦).

وأما من يقوم ـ فِعليًّا ـ بتفزيعِ المسلم وترويعِه بشيء يخيفه فقد باء باللعْنِ والإثم ـ والعياذ بالله ـ.

عَنِ أبي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ

---

(١١٤) رواه أبو داود في ك الأدب ب فضل مَن بدأ السلامَ ٧/ ٤٩٣ رقم ٥١٩٧، والبيهقيُّ في شعب الإيمان ١١/ ٢٠٢ رقم ٨٤٠٨.

(١١٥) رواه أبو داود في ك الأدب ب مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ ٧/ ٣٥٢ رقم ٥٠٠٤، وأحمد ٣٨/ ١٦٣ رقم ٢٣٠٦٤، والبيهقيُّ في السنن الكبرى ك الشَّهَادَاتِ ب المِزاح لَا تُرَدُّ بِهِ الشَّهَادَةُ ... ١٠/ ٤٢٠ رقم ٢١١٧٧.

(١١٦) رواه البزار في مسنده ٩/ ٢٧١ رقم ٣٨١٦.

بِحَدِيـدَةٍ، فَـإِنَّ الْمَلَائِكَـةَ تَلْعَنُـهُ، حَتَّـى يَدَعَـهُ وَإِنْ كَـانَ أَخَـاهُ لِأَبِيـهِ وَأُمِّهِ»(١١٧).

عن أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَـالَ: «لاَ يُشِيرُ أَحَـدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»(١١٨).

وأما قتال المسلم لأخيه فهو أشدُّ جُرْما عند الله، وأعظمُ وبالا على مُقْتَرِفِه.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (١١٩).

(١١٧) رواه مسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ ٤/ ٢٠٢٠رقم ٢٦١٦.

(١١٨) رواه البخاري في ك الفتن ب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا» ٩/ ٤٩ رقم ٧٠٧٢، ومسلم في ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ب النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ ٤/ ٢٠٢٠رقم ٢٦١٧.

قال الإمام النووي: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ» هكذا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ: لَا يُشِيرُ بِالْيَاءِ بَعْدَ الشِّينِ، وَهُوَ نَهْيٌ بِلَفْظِ الخبر، كقوله تعالى: {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا}، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ لفظ النهي، و «لعل الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ»:يَرْمِي فِي يَدِهِ وَيُحَقِّقُ ضَرْبَتَهُ وَرَمْيَتَه.

(١١٩) رواه البخاري في ك الإيمان ب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ ١/ ١٩ رقم ٤٨، ومسلم في ك الإيمان ب بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» ١/ ٨١ رقم ٦٤.

ألا ما أجدرَ المسلمين أن يراعوا هذه الحقوقَ ويتمسكوا بها، كي ينالوا رضوان الله تعالى، ويَحيَوْا عيشَ السُّعَداء.

الفصـــل الثالث
من آثار الأخوّة في حياة المسلمين

إنّ المسلمين إذا قَوِيَت بينهم أَواصِرُ أُخُوّتِهم، وتعاهدوها برعايةِ حقوقِها وواجباتِها، وطبَّقوها على الوجْهِ الذي شرَعه اللهُ عزَّ وجَلّ؛ تحقّقَ لهم بهذا أعظمُ الآثار، وأطيبُ الثمار في المعاش والمعاد.

ونشير هنا إلى أهم هذه الثمار على النحو التالي:

أولاً: إرضاء الله تعالى:

إن الأخوّةَ الإسلاميةَ رابطةٌ أنشأها الشرعُ، يجب أن تُرْعَى وتصانَ فلا تُضَيَّع، ورَحِمٌ خَلَقَها ربُّ العالمين، يجب أن تُوصَل فلا تُقْطع، فمَنْ صانَها ووصَلَها كان طائعا لله، مُتَّبعا لِشرعِ مولاهِ، واصِلا لما أمَر الله به أن يُوصَل، وأهلا لرضا ربّه جلّ في علاه.

قال تعالى: **وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهَّ عَلِيمًا** [النساء: ٦٩ ـ ٧٠].

وقال سبحانه: **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ**

عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد: ١٩ - ٢٤].

وكما أن الرّحِمَ مِن جهة النَّسَب يثاب واصِلُها شرْعا، ويعاقب قاطعُها شرعا؛ فكذلك أُخوّةُ الإيمان، ورحِمُ الإسلام، في وَصْلِها مثوبةٌ من الله وأجْرٌ، وفي قَطعِها عقوبةٌ مِن الله وَوِزْرٌ، بل إنّ أُخوّةَ الدين، ورَحِمَ الإسلامِ أَقْوَى مِن أُخوّةِ النَّسب ـ كما ذكر العلماء فيما أوردنا سابقا ـ.

ثم إن القيام بحقوق الأخوّة كالمحبة والنُّصرة، وسلامةِ الصدر، وكفِّ الأذى، وزيارةِ المريض، والإيثار، والتراحمِ، وتعظيمِ الحرمات، وغيرها من الحقوق، قدْ رتّبَ الشّرْعُ الحنيفُ عليه عظيمَ الأجر والمثوبة، حيث إن أداءَ كلِّ حقٍّ منها ابتغاء مرضاة الله تعالى طاعةٌ وقُرْبةٌ إلى الله ينال بها فاعِلُها رضوانَ الله تعالى، على نحو ما هو مفصَّلٌ في مظانِّه ومواضِعه من كُتبِ الترغيبِ والترهيب، والأخلاق والتزكية، ولا يتسع لذكره المقام.

ثانيا: وَحدةُ المسلمين وقوتُهم:

إنه لا شيء كالأخوّةِ الإسلاميةِ يجمع شملَ المسلمين جميعا، ويوحِّد صفوفهم، ويَلُمُّ شَعَثَهم، ويجعل منهم جسدا واحدا، وكيانا قويا متكاملا، مهما كان من اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وأعراقِهم

وبلدانِهم، ويصِلُ ما تقطَّع من بَيْنِهم، ويعود عليهم بأكبر النفع في العاجل والآجل.

وهذا ما أثبتَتْه حوادث الأيام، وأكّدتْه صُروفُ الزمان، فقد انتظمت هذه الأخوّةُ الفارسيَّ مع العربيِّ، والتركيَّ مع الأفريقيِّ، والفقيرَ مع الغنيِّ، والأسودَ مع الأبيَض ... هؤلاء وغيرهم جمعتْهم أخوةُ الدين، وانمحت من بينهم الفوارق، وذابت القوميات والعِرْقيات، وصاروا جميعا إخوانا مسلمين، يُكَوِّنون أمةً واحدةً متميزةً، هي الأمة الإسلامية.

ولاشك أن الوَحدةَ هي مطلبُ الجماعاتِ الإنسانية، وهدفٌ تسعى إليه كل المجتمعات البشرية، وتأخذ بكل الأسباب المؤدية إليه، والمسلمون اليوم هم أحوج الناس إلى الوحدة، فيجب عليهم الأخذ بكافة الأسباب والطرق المؤدية إلى وَحدتهم، وعلى رأسها أن يلوذوا بأُخوّةِ الدين، وإلا فلسوف يبقون مشتتين تائهين، ومتفرقين في العالمين.

وجدير بالذكر أن أعداء الإسلام والمسلمين يدركون تماما أثر الأخوّة الإسلامية في وحدة المسلمين، ودورَها الخطيرَ في جمع شتاتهم، وإزالة فرقتهم، ولذلك حرَصوا كلَّ الحرص على أن لا تقوم للأخوّة الإسلامية، أو ما يشبهها كالتضامن الإسلاميّ، أو الجامعة الإسلامية، أو الخلافة الإسلامية ونحوها؛ حرَصوا على أن لا تقوم

لها قائمة، وعملوا على غرس المعوقات في طريقها ـ كما سنذكر بعد ذلك ـ لكي لا يتّحِد المسلمون، ولِيبقوا متفرقين حتى لا يكون لهم في العالَمَ أيُّ وزنٍ ولا تأثيرٍ.

وفي وثيقةٍ محفوظةٍ بالمركز العامِّ للوثائق بلندن، تحت رقم ٣٧١ ـ ٥٥٩٥، ورد في تقرير وزيرِ المستعمراتِ البريطانيةِ «أورمسي ـ غو» لرئيس حكومته في ٩ ـ ١ ـ ١٩٣٨:

«إن الحرب علّمتْنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي علي الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه!

وليست انجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا..!

من دواعي فرحنا أن الخلافة الإسلامية: زالت، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة!

إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً، إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك!

إننا في السودان ونيجيريا،ومصر ـ ودول إسلامية أخرى شجعنا ـ وكنا على صواب ـ نموّ القوميات المحلية، فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي! »[١٢٠].

(١٢٠) هُموم داعية، محمد الغزالي، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ (ط إدارة إحْياء التراثِ الإسلاميّ – قطر)، وقد ذكر أن هذه الوثيقة نُشِرت في جريدة العلم، نقلا عن مجلة (درع الوطن) بالإمارات العربية المتحدة.

ويقول «لورانس براون»: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنه على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا قوة ولا تأثير»(١٢١).

وإن وَحْدة المسلمين مُفْضيةٌ ـ مِن غيرِ شكٍّ ـ إلى قوّتهم وعِزّتهم، كما أن فُرقتَهم سبيل إلى ضعْفِهم وخُذْلانهم، وهوانِهم على أعدائهم.

إن غياب الإخاء بين المسلمين اليوم على الوجه الذي شرعه الله عز وجل قد جعلهم أشتاتا متفرقين، وفي كثير مِن الأحيان متنافرين متنازعين، فوهنَتْ ـ تبعا لذلك ـ قُوّتُهم، وسَهُل على الأعداءِ كسْرُهُم ودَحْرُهم.

تأبَى الرماحُ إذا اجْتَمَعْنَ تكسُّرًا ** وإذا افترقْنَ تكسَّرتْ أفرادَا

فهل من وَحدة تحت ظل أخوة إسلامية، تَرْأَبُ صَدْعَ المسلمين، وتنتظم عِقدهم، وتجمعهم مؤتلفين، أقوياء متماسكين، يُعضِّدُ بعضُهم بعضا، فلا ينال منهم أعداؤهم غَرَضا؟

ثالثا: حصولُ المَنَعَةِ والمهابةِ ودَرْءُ الفِتْنة:

ثم إن تحقُّق الإخاءِ بين جميعِ المسلمين، ووحدةَ صفِّهم وقوَّتهم، يحصل به مَهَابَتُهم في عيون أعدائِهم، ويحقِّق لهم مَنَعَةً وعِصْمةً مِن أنْ

(١٢١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهيّ، ص٥٢٥، نقلا عن: الإسلام والإرساليات، لورانس براون، ص ٤٤ ـ ٤٨.

يَطمعَ فيهم أعداؤهم، أو يجْترئوا على استباحة حرماتِهم والعدوانِ عليهم، أو يُقْدِموا على النَّيل منهم.

إن المسلمين اليوم يجنون أمَرَّ وأسوأَ ثمارِ غيابِ الإخاءِ الإسلاميِّ والتضامنِ والولاءِ فيما بينهم، حيث صاروا في هوانٍ على أعدائهم، رُبَّما لم يسبق له في تاريخهم نظيرٌ؛ فكم من حرماتٍ لهم مستباحة، وأوطانٍ في فلسطينَ وكشميرَ والصينِ والفلبينِ، وبورما، وغيرها، مُغْتصَبة، وكم من ملايين منهم في العصر الحديث قُتِّلوا أوْ شُرِّدُوا، في بلاد آسيا بيد الشيوعيين في الصين وفي بلاد ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتيّ، وفي أوربا في البوسنة والهرسك وألبانيا وكوسوفا، وغيرِها من البلدان، وفُتِنوا في دينهم، وسِيمُوا الأذى وسوءَ العذاب، ولا يزال كثيرون من المسلمين الآن في بقاعٍ شتى من العالَمِ يُضْطهدون ويُفْتَنون، على نحو لم يُسْمَع به مِن قَبْلُ في الأولين.

ويضاف إلى هذا الواقعِ المريرِ ما فيه العالمُ الإسلاميُّ مِن تبعية سياسية، وما يعتريه من خِفَّةِ وَزْنِه، واحتقارٍ له في نظر الغربيين، واضمحلالِ تأثيره في المنظمات الدولية، حتى غدا حال المسلمين اليوم ينطبق عليه ما قال الشاعر «جريرُ بنُ عَطِيَّة»:

ويُقضَى الأمرُ حين تَغِيب تَيْمٌ ** ولا يُستأذَنون وهم شُهودُ

وما كان هذا لِيحْدث لو كان الإخاءُ الإسلاميُّ بحقوقه وواجباته حيًّا فاعِلا على مستوى العالم الإسلاميّ، فلما كان هذا الإخاءُ قد تلاشتْ

حقيقتُه، وشُلّتْ فاعليّتُه، اضمحلّتْ معه قُوّةُ المسلمين، وطمِع فيهم مَن لم يكن بالأمس يَدْفَع عن نفسه، وتحكمت فيهم حثالة من البشر، وأراذلُ بني الإنسان، وتداعت عليهم أممُ الكفر، التي ما إن تظهرْ على المؤمنين لا ترقب في أحدٍ منهم إلًّا ولَا ذِمّة، كما قال تعالى: {**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً**}[التوبة: ٨]، وقد كان، وكذلك يفعلون، وانتُزِعت مهابةُ المسلمين من قلوب أعدائِهم، وصاروا غثاء كغثاء السيل، كما جاء في الحديث السابقِ ذِكْرُه.

إن المسلمين الذين يزيدون اليوم عن مليارٍ ونِصْف المليار في العدد، ويملكون من الإمكانات المختلفةِ الكثيرَ والكثيرَ، لو توحّدوا تحت رايةِ أخوَّتِهم ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ لأعاد العالمُ كلُّه من شَرْقِه إلى غَرْبه حساباته مراتٍ ومرات، ولتبدّلتِ الحالُ التي هم فيها من الهوان إلى حال أُخرى من العزة والمهابة، والمنَعَة والسيادة، ولعادتِ الحقوق السليبةُ إلى أصحابها، وبرِئَت الأمةُ من أسقامها.

ولكن أنَّى ذلك!! وقد تقطعوا أمْرَهم بينهم، وتفرّقوا - بفعل مؤامرات أعدائهم، وبعضِ الخوَنةِ الفسَقةِ من حكّامِهم - شيعا وأحزابا {**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**} [الروم: ٣٢].

ألا لقد حان الوقت لأن نعود إلى ما كان عليه أسلافُنا الأوائلُ عندما تحققت بينهم أخوةُ الدِّين كما شرعها الله، فعاشوا في قوّة ومَنَعَةٍ، يهابُهم أعداؤهم، ويحفظ لهم قَدْرَهم، ولم يجرُؤْ أحدٌ على

تدنيس حرماتهم، وإلا أدّبوه بما يستحق، فأَمِن الخائفُ في رِحابِهم، وانتصرَ المظلومَ في جِوارِهم، وأنصتَتْ أُذُنُ الدنيا لكلامهم.

رابعا: تحقيق الرخاء الاقتصاديّ:

إن مما لا ريب فيه أن العالمَ الإسلاميَّ غَنِيٌّ بالثروات الكثيرة المتنوِّعةِ والخطيرة (١٢٢)، لكنَّ تفرُّقَ المسلمين وانفراطَ عِقْدِ أُخوَّتِهم -

---

(١٢٢) تؤكِّد الدارساتُ العلميةُ على أن العالم الإسلاميَّ يمتاز بأهمية الاقتصادية، وذلك لما حباه الله به من ثروات طبيعيةٍ وفيرةٍ؛ زراعيةٍ ومعدنيةٍ وحيوانيةٍ، بالإضافة إلى أعظم وأخطر ثروةٍ، وهي الثروة البشرية.

وعلى سبيل المثال: بالنسبة للثروة المعدنية نجد أنّ العالمَ الإسلاميَّ غنيٌّ بمعادنه المستغَلّة والغيرِ مستغَلّة، والاحتياطية، ومِن أهمها:

- البترول والغاز الطبيعي: إذ تحتل دول العالم الإسلامي المركزَ المتفوقَ والمرموق في مجال إنتاجه، واحتياطيه الذي يقدر بأكثر من ٧٥٪ من احتياطي العالم كله.

- الفوسفات، ويستعمل لصناعة الأسمدة.

- الكوبلت: من معادن السبائك الهامة، ويمنع الصلب من الصدأ، كما يتحمل درجة الحرارة العالية جدا، فتصنع منه الآلات في الطائرات النفاثة، والآلات التي تدخل في الأسلحة النووية، وتجيء المغربُ رابعَ دولة في العالم في إنتاجه.

- الكروم: وهو معدن يستعمل في صناعة السبائك المعدنية، والعالم الإسلامي ينتج ٤٥٪ من إنتاج العالم منه.

- الحديد.

- القصدير: وهو معدن تحتاجه الصناعات المعدنية الهامة، فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز، ويستعمل في صناعة الصفيح والعلب التي تحفظ المأكولات، وفي عمليات اللحام، والسبائك البرونزية، ويُنتِج العالم الإسلاميُّ أكثر من نصف الإنتاج العالمي منه.

- المنغنيز: ويدخل في صناعة السبائك والصُّلب، وفي الصناعات الكيميائية. =

مع الأسف ـ قد حرَمَهم الإفادَة التامَّةَ مِن خيراتِ بلدانِهم، وفَوّتَ عليهم التكاملَ والتكافلَ الاقتصاديَّ فيما بينهم، وصارت أرضُهم من أكثرِ مواطنِ الجوعِ والبُؤس في العالم.

وإذا كانت الأُخوّةُ الإسلاميةُ قائمةً ومطبَّقةً بحقوقها وواجباتها التي أمر الشرعُ بها؛ مِن تكافلٍ وتراحمٍ، وتعاطفٍ وتوادّ، وتضامنٍ وولاء، ووَحدةٍ وإيثار، وحبِّ الخيرِ مِن المسلمين لبعضهم ... وغير هذا من الحقوق على مستوى المسلمين أجمعين في أدنى الأرض وأقصاها؛ لَعادَ هذا بالنفع والخير على كافة المجتمعات الإسلامية، ولأفاد المسلمون من تلك الثرواتِ والخيراتِ العظيمةِ التي تحت أيديهم، وكان لهذا أكبرُ الأثر في تحقُّق الرخاءِ الاقتصاديّ ـ وهو من

= ـ الرصاص.

ـ أملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والبروم والمغنيزيوم، الأملاح المعدنيه، وللأسف فإن العدوَّ الصهيونيَّ يقوم باستغلالها في فلسطين، حيث أشهر أماكن استغلالها البحر الميت.

ـ وهناك الذهب، والنحاس، واليورانيوم، وغيرها.

وهذه الثروات الهامة تتيح للعالم الإسلاميِّ الفرصةَ في أن يصبح عالما صناعيا، حيث تتوفر فيه مقومات الصناعة، وهي: توفر المواد الخام، ومصادر الطاقة المتنوعة، ورؤوس الأموال، وخاصة في البلدان المنتجة للبترول، وتوفر الأيدي العاملة، ثم توفر الأسواق الاستهلاكية الداخلية لاتساع العالم الإسلاميِّ وكثرةِ سكانه، والخارجية لسهولة المواصلات التي تصل العالمَ الإسلاميَّ بغيره. (حاضر العالم الإسلامي، د. جميل عبد الله المصري، ص٣١ وما بعدها ـ باختصار ـ، وفيه مراجعه).

ركائز الحياة الطيبة - ولتلاشت رقعة الفقر التي تكتنف السواد الأعظم من بلدان المسلمين ومجتمعاتِهم، وانقشعت عنهم سُحُبُ التخلُّفِ والانحطاطِ.

خامسا: تمهيد الطريق لوصول الأمة الإسلامية إلى مقام الريادة:

إن مما اختص اللهُ تعالى به الأمةَ الإسلاميةَ أنها صاحبةُ رسالةِ الإرشادِ والهدايةِ للبشرية، تُخرِج مَن شاء اللهُ مِن عبادةِ العبادِ، إلى عبادة الله ربِّ العباد، ومِن جَوْر الأديانِ إلى عدل الإسلام، ومِن ضيق الدنيا وظلماتها إلى سَعَة الإسلام ونوره، فمكانتها بين العالمين هي مكانة الأستاذية والرِّيادة.

قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

وقال عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [سورة البقرة: ١٤٣].

وإن المسلمين اليوم - كما لا يخفى - قد انتُزِعت منهم القيادة، وتبَوّأها غيرُهم، وصاروا في مؤخرة الركب وذيل القافلة، جزاءَ تفريطِهم، وتَنكُّبِهم صراطَ الله المستقيم، لذا فإن عليهم أن يعملوا لتتبوأ أُمّتُهم مكانتَها اللائقةَ بها، وليصلوا إلى درجة التمكين والسيادة.

ولا ريب أن إقامة الأخوّة الإسلامية على مستوى الأفرادِ

والشعوب في العالمِ الإسلاميِّ جديرٌ بأن يُزيل حالة الغُثائيّةِ التي اعترت الأمة، ويُمهِّدَ الطريقَ لكي تتبوأ مقامَ الصدارةِ والقيادةِ كما كانت في سالف الزمان.

إنّ تشرذُم الأمةِ الإسلاميةِ وتفرُّقَ جموعِها تحت راياتٍ عديدةٍ بعيدا عن راية الدين؛ لن يزيد إلا تكريسَ تبعيتِها وضعفِها، في عصرٍ غدا يتّسِم بأنه عصرُ التكتلات العالمية، والأحلافِ الدوليةِ القويةِ التي تتسابق تسابقا محموما نحو قيادة العالَم، وفرضِ الهيمنةِ على الآخرين.

ولن ترتفع الأمة من وَهْدَتِها، وتستعيدَ ريادتَها، وتَرْقَى مِن جديدٍ إلا بأن يلتئم أفرادُها وشعوبُها برباط الدِّين وأخوةِ الإسلام التي جعلهم الله عز وجل بها أمة واحدة وكيانا واحدا، وجسدا واحدا إذا اشتكَى بعضُه اشتكَى كلُّه، فتكونَ - بحقٍّ - خيرَ أمةٍ أخرجت للناس.

سادسا: إظهار الصورة المشرقة للإسلام ودعوته:

إن هناك كثيرين من غير المسلمين ينظرون إلى الإسلام، ويحكمون عليه من خلال واقع المسلمين وحالِهم، وتنطبع في تصوراتِهم خلفيّةٌ سيئةٌ عن الإسلام وأهله بسبب ما يرونه من تشتت المسلمين وضعفهم، وتدنِّي الأحوالِ المعيشية للكثير مِن بلدانهم، فيعتقدون أن سببَ هذا الواقعِ المتردِّي هو كونهم مسلمين، يطبِّقون تعاليم الإسلام، مع أن السبب غير ذلك، وأن عدم تمسك المسلمين بدينهم، وتركَ تطبيقِه في حياتهم على الوجه الذي يريده الله تعالى هو الذي

أرْداهم في هذه الهوة السحيقة من التخلف والهوان، وإلا فلْيدُلَّنا أحدٌ ـ ولن يستطيع ـ على مجالٍ واحدٍ طبَّق المسلمون فيه شريعةَ الإسلامِ فعاد عليهم بالتخلف.

وصدق الله القائل: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[سورة طه: ١٢٣ ـ ١٢٤].

ولو أنّ المسلمين التزموا بمبادئ الإسلام وطبقوها في حياتهم تطبيقا صحيحا ـ ومنها الأخوّة بحقوقها وواجباتها ـ لأعطَوا صورة حسنة للدين الحنيف، ولأفسحوا المجال أمام الدعوة الإسلامية كي تشقَّ طريقَها إلى القلوب والعقول، من غير أنْ يُعرْقِل سيرَها واقعُ المسلمين المتردِّي.

وعندما ينتظم رباطُ الأخوّة شملَ المسلمين، ويعيشون في كنفها، وتسود بينهم حقوقها، ويقومون بما يجب عليهم نحو بعضهم البعض، وينعمون بآثارها، فإن هذا ـ بلا ريب ـ يُبْرِز الصورةَ الحقيقيةَ الجميلةَ للإسلامِ وتشريعاتِه أمام غير المسلمين، ويحملهم على احترام هذا الدين، ويجذبهم نحوه، ويقرِّبهم منه، ويبدِّد الصورةَ الشائنة التي يحاول أعداء الإسلام جاهدين رسمها له، بإظهاره على أنه دينٌ همجيٌّ، لا يحوي في تشريعاته مبادئ التحضر والرقيِّ، وأنه ـ في زعمهم ـ أبعد ما يكون عن صنع حياة طيبة راشدة.

فهل نُرِي ـ نحن المسلمين ـ العالَمَ مِن أنفسنا خيرا، ونكون عونا على اجتذاب الناس نحو الإسلام، وقبولهم لدعوته، كما كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ؟

سابعا: التعاون على فعل الخير وإقامة شعائر الدين:

إنّ من أعظم بركات وثمار الأخوّة، أنْ يجد المسلمُ مَن يَحْفِزُه على فعل الخير، ويؤازره على إقامة شعائر الدين وشرائعه، فيجد من يُذَكّره إذا نسي، ويعينه إذا ذَكَر، وينصحه ويقوّمه متى كان محتاجا إلى النصح، كما كان في مجتمعات السلف الصالح، حيث كان أحدُهم يلقَى أخاه فيقول له: «تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً» (١٢٣).

وهذ لا يتأتّى إلا في ظلال الأُخوة الإسلامية الوارفة، التي تسودُها أجواءٌ صالحة نقيةٌ، تنبت فيها الفضائل وتنمو، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، وتطبيق شرع الله تعالى على مستوى الفرد والجماعة.

وإذاكان المسلم في ظل الأخوّة أَرْجَى أنْ يُعان على طاعةِ الله؛ فإنه

---

(١٢٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: كَانَ ابْنُ رَوَاحَةَ يَأْخُذُ بِيَدِي وَيَقُولُ: «تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً، إِنَّ الْقَلْبَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا»، الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك بن واضح المرْوزي (المتوفَّى ١٨١هـ)، ١/ ٤٩٠، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

وعن ابْن سَابِطٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ رَوَاحَةَ يَأْخُذُ بِيَدِ النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: «تَعَالَوْا نُؤْمِنْ سَاعَةً؛ تَعَالَوْا فَلْنَذْكُرِ اللهَّ وَنَزْدَدْ إِيمَانًا، تَعَالَوْا نَذْكُرْهُ بِطَاعَتِهِ لَعَلَّهُ يَذْكُرُنَا بِمَغْفِرَتِهِ»، مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٧٠.

قد يُحرَم هذا الخيرَ إنْ كان منفرِدا منقطعا عن إخوانه، حيث يكون ـ حينئذ ـ عُرْضةً للغفلة والنسيان، والتراخي والكسل، وربّما وقع فريسة لشيطانٍ يُضلُّه ويُغوِيه، أو نفسٍ أمّارةٍ بالسوء تُنازِعُه وتُرْدِيه، وما أبلغَ تصويرَ النبيِّ ﷺ للخَطَر المحدِق بالفرْدِ المنقطعِ عن إخوانه بقوله ﷺ: «فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»(١٢٤).

وصدق رَسُولُ الله ﷺ إذ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ»(١٢٥).

---

(١٢٤)جزءٌ مِن حديث أخرجه الحاكم ١/ ٣٣٠ رقم ٧٦٥، من رواية أبي الدرداء.

(١٢٥)جزءٌ مِن حديث أخرجه الترمذي في ك الفتن ب مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ٤/ ٤٦٦ رقم ٢١٦٥، وقال: حسنٌ صحيح، والنسائي في السنن الكبرى ك عِشْرَةِ النِّسَاءِ ب خَلْوَةُ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ ٨/ ٢٨٣ رقم ٩١٧٥، وأحمد ١/ ٣١٠ رقم ١٧٧، وابنُ حبان في ك السِّيَر ب ذِكْرِ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ لُزُومِ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكِ الِانْفِرَادِ عَنْهُمْ ١٠/ ٤٣٦ رقم ٤٥٧٦، والحاكمُ في المستدرك ك العلم ١/ ١٩٧ رقم ٣٨٧، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. كلهم من رواية عمر بن الخطاب.

قال ابن الأثير: بُحْبُوحَة الدَّار: وسَطُها. يُقَالُ تَبَحْبَح إِذَا تَمَكَّنَ وتوسَّط الْمَنْزِلَ وَالْمُقام. (النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفَّى ٦٠٦هـ)، ١/ ٩٨، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

الفصل الرابع

عوائق في طريق الأخوّة الإسلامية

هناك عوائق تعرقل مسيرة الأخوّة الإسلامية، وتُضْعِف تماسكها، وتُوهِن رِباطَها، بل وتحول ـ أحيانا ـ دون تَحقُّقِها وكمالِها.

وهذه العوائق منها ما هو مِن صُنْع واختراعِ أعداءِ الإسلامِ والمسلمين؛ مِثل نشْرِ القوميات والعصبياتِ الجاهلية، ومنها ما هو مِن صُنْع المسلمين أنفسِهم؛ مثل التعصّبِ المذهبيِّ الممقوت.

وسواءٌ أكانت هذه العوائقُ مِن تصديرِ أعدائِنا أمْ مِن عِندِ أنفُسِنا؛ فالملاحظ أن خُصوم أُمّتِنا ـ لاسيما في عصرنا الحاضر ـ كانت لهم اليدُ الطُّولَى، والجهودُ العُظمَى في الاعتمادِ على تلك العوائق واستغلالها على نحو خطير لضرب وَحدةِ المسلمين، ونَقْضِ عُرَى الإخاءِ فيما بينهم، وجعْلِهم شِيعا مُمَزَّقين، وأحزابا متنازعين.

ونشير هنا إلى جملةٍ مِن تلك العوائق التي تقف حجَرَ عثْرةٍ في طريق تحقيق الأخوّةِ الإسلامية، لا سيما الأخوة العامة، التي تجمع شمل المسلمين حيثما كانوا، وتنتظم أفرادَهم وشعوبَهم أينما وُجِدوا، وتحُول دون تَجمّعِهم ـ على المستوى العالميِّ ـ تحت مِظلَّةٍ واحدة، هي الأخوّة في الدين .. وذلك على النحو التالي:

أولا: غياب الخلافة الإسلامية: (١٢٦)

(١٢٦) الْخلَافَة، والإمامة الْعُظْمَى، وإمارة الْمُؤمنِينَ، ثَلَاث كَلِمَات مَعْنَاهَا وَاحِد، وَهُوَ رئاسة الْحُكُومَة الإسلامية الجامعةُ لمصَالح الدّين وَالدُّنْيَا.
وقد عرَّفها الْعَلامَةُ الأصوليُّ الْمُحَقِّق «السعد التَّفْتَازَانِيّ» فِي متن مَقَاصِد الطالبين، فِي علم أُصُول عقائد الدّين، بأنها: «رئاسة عَامَّة فِي أَمر الدّين وَالدُّنْيَا خلَافَة عَن النَّبِيِّ ﷺ».
وَقَالَ الْعَلامَة الْفَقِيه أَبُو الْحسن عَليّ بن مُحَمَّد الْماوَرْدِيّ فِي كِتَابه الْأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة: «الْإِمَامَة مَوْضُوعَة لخلافة النُّبُوَّة فِي حراسة الدّين وسياسة الدُّنْيَا».
حكم الْإِمَامَة أَو نصب الْخَلِيفَة: أجمع سلف الْأمة، وَأهل السّنة، وَجُمْهُور الطوائف الْأُخْرَى على أَن نصب الإِمَام ـ أَي تَوليتُه على الْأمة ـ وَاجِب على الْمُسلمين شرعا لَا عقلا فَقَط كَمَا قَالَ بعض الْمُعْتَزلَة، وَاسْتَدَلُّوا بِأُمُور لخصها «السعد» فِي متن الْمَقَاصِد بقوله: لنا وُجُوه: (الأول): الْإِجْمَاع، وَبَيّن فِي الشَّرْح أَن الْمُرَاد إِجْمَاع الصَّحَابَة، قَالَ: وَهُوَ الْعُمْدَة، حَتَّى قدَّموه على دفن النَّبِي ﷺ، (الثَّانِي): أَنه لَا يَتم إِلَّا بِهِ مَا وَجب من إِقَامَة الْحُدُود وسدِّ الثغور، وَنَحْو ذَلِك مِمَّا يتَعَلَّق بِحِفْظ النظام، (الثَّالِث): أَن فِيهِ جلبَ مَنَافِع وَدفعَ مضارّ لَا تحصى، وَذَلِكَ وَاجِب إِجْمَاعًا، (الرَّابِع): وجوب طَاعَته ومعرفته بِالْكتاب وَالسّنة، وَهُوَ يَقْتَضِي وجوب حُصُوله وَذَلِكَ بنصبه، اهـ. وَمعنى الْأَخير أَن مَا أجمعُوا عَلَيْهِ من وجوب طَاعَته فِي الْمَعْرُوف شرعا وَوُجُوب مَعْرفَته بِالْكتاب وَالسّنة وَكَونهَا من أهم شُرُوطه يَقْتَضِي أَن نَصبه وَاجِب شرعا، وَقد أَطَالَ «السعد» فِي شرح الْمَقَاصِد فِي بَيَان هَذِه الْوُجُوه وَمَا اعْترض بِهِ بعض المبتدعة الْمُخَالفين عَلَيْهَا وَالْجَوَاب عَنْهَا.
وَقد غَفَلَ هُوَ وَأَمْثَاله عَن الِاسْتِدْلَال على نصب الإِمَام بالأحاديث الصَّحِيحَة الْوَارِدَة فِي الْتِزَام جمَاعَة الْمُسلمين وإمامهم، وَفِي بَعْضهَا التَّصْرِيح بِأَنّ « من مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقه بيعَة مَاتَ ميتَة جَاهِلِيَّة » رَوَاهُ مُسلم من حَدِيث لِابْنِ عمر مَرْفُوعا، وحَدِيث حُذَيْفَة الْمُتَّفق عَلَيْهِ، وَفِيه قَوْله ﷺ لَهُ: « تلْزم جمَاعَة الْمُسلمين وإمامهم ».
(الخلافة، محمد رشيد رضا (المتوفى ١٣٥٤هـ)، ص ١٧ـ ١٨ باختصار، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ويراجَع: الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، =

إن قيامَ الخلافةِ الإسلاميةِ ـ كما شرع الإسلام ـ أمْرٌ ضروريٌّ؛ لأنها عاملٌ رئيسٌ مِن عوامل وَحدة العالم الإسلاميِّ وقوّتِه، وجامِعةٌ تَجْمع أقطارَه تحت لواءٍ سياسيٍّ عالميٍّ متميّز، وتؤلِّف بين بلدانِه في منظومةٍ دولية جوهرُها الهويةُ الإسلامية، يتلاشَى في ظِلّها وباءُ القوميات والعِرْقيّات، وتساعد على تعميقِ الأخوّةِ الإسلاميةِ وازدهارِها، وتفعيلِ دورِها في تأليف قلوبِ المسلمين، وجمْعِ كلمتِهم، والحفاظِ على كيانِ الأمةِ الإسلاميةِ لتصبح متميّزةً ورائدةً، وقادرةً على مواجهة قوى الاستكبار العالميِّ التي لم تُنْصِف ولم تَنْصُر قضايانا العادلةَ في يومٍ من الأيام.

ولقد ظلت الخلافة الإسلامية قائمة إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن العشرين الميلاديّ، وبقيَتْ في تركيا حتى كان إسقاطُها، ثم إعلانُ إلغائِها في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ الموافق ٣ مارس ١٩٢٤م، بيد «أتاتورك» مدعوما من الغرب.

ولقد كانت الخلافةُ العثمانيةُ ـ برغم ما وُجِّه إليها مِنَ انتقادٍ ـ الجامعةَ التي تَجْمع شملَ المسلمين، وواسِطةَ العِقْد الذي ينتظِمُهم في إطار الخلافة الإسلامية، ويستلهمون مِن وجودها رمزَ وَحْدتِهم،

= ص ٥، دار الكتب العلمية، فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، ص٦٥، ترجمة د. نادية عبد الرزاق السنهوري، مراجعة وتعليقات د. توفيق محمد الشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية ١٩٩٣م).

وإنها ـ باستثناء الْحِقَبِ الأخيرة من تاريخها ـ قد قامت بواجبها في حماية المسلمين، وإرهابِ الأعداءِ المحارِبين، وتأديبِ كلِّ مَن تُسوِّل له نفْسُه الاعتداءَ على حرمات المسلمين.

وكذلك كان لها دورٌ بارز في نشر الإسلامِ في أقطارٍ كثيرةٍ مِن العالم بمختلف قارّاته، ثم إنها أقامت سَدًّا منيعا في وجه انتشار الصليبية في بقاع كثيرةٍ من العالم، وحالت ـ حتى آخر لحظة مِن وجودها ـ دون تحقيق أمانيِّ اليهودِ وأطماعِهم الدائمةِ في فلسطين المسلمة.

كما أن السلطان «عبد الحميد الثاني» ـ في آخر عصر الدولة العثمانية (١٨٤٢ـ ١٩١٨م) ـ نادَى بفكرة «الجامعة الإسلامية»، وعمل على تنمية الشعور بالرابطة الإسلامية بين المسلمين أجمعين، بقصد «تدعيم أواصرِ الأخوةِ الإسلاميةِ بين كلِّ مسلمِي العالمِ في الصين والهند وأواسط أفريقيا وغيرها، وحتى إيران»[١٢٧]، ورفَعَ شعارَه «يا مسلمي العالم اتحدوا»، ما هزَّ دولَ العالمِ الغربيِّ وأقْلقَها.

كلُّ هذا وأمثالِه حمَلَ الغربَ ودُولَه ـ على اختلاف مذاهبِها وعقائدِها ـ على أن تكيد لدولة الخلافةِ، وتتربَّصَ بها الدوائر، وتَنْسِج الخططُ والمشروعات لتفكيكها وإزالتها، ثم تقسيم الغنائم والأسلاب بعد ذلك فيما بينها، حتى تم لهم ذلك، وللأسف

(١٢٧) الدولة العُثمانية .. عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط، عَلي محمد الصَّلاَّبي ١/ ٤١٧، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

استطاعوا أن يخدعوا كثيرا من المسلمين ويضللوهم، فقام هؤلاء المخدوعون بمساعدة الدول الغربية في القضاء على دولة الخلافة وإسقاطها، طمعا في مَغْنمٍ مِن جهة الغرب، ولكنهم كانوا في نهاية الأمر هم الغنيمةَ والفريسةَ، وصدق فيهم قولُ الشاعر «شَوْقِيّ»:

كُلُّنا وارِدُ السـرّابِ وكُلٌّ ** حَمَلٌ في وليمة الذّئْب طاعِمْ

قد رَجَوْنا مِن المغانِم حَظًّا ** ووَرَدْنا الوَغَى فكنّا الغنائِمْ

ولقد كان الأولى بالمسلمين أن يقفوا مع دولة الخلافة العثمانية، لِيُسَدِّدُوها ويَشُدُّوا أَزْرَها، ويَجْبُروا كَسْرها، لا أن يخذلوها ويَسْعَوا في خرابها، ثم إن عليهم الآن أن يعملوا على إقامة الخلافة الإسلامية من جديد، ولْيَعْلموا أن هذا الأمرَ أَصْلٌ مِن أصول الإسلام عظيم، فيه سعادتهم في الحال والمآل.

إن مما لا ريب فيه أن الأخوّة الإسلاميةَ في عصرنا الحاضرِ قد تضررت كثيرا بغياب نظام الخلافة الذي تلاشَى معه مَجْدُ المسلمين وعِزُّهم، كما كانوا في سالف الزمان، وصاروا في مؤخّرة الرَّكْبِ وذيلِ القافلة، وغَدَوْا كالأيتام على موائد اللئام، في زمانٍ طمِع فيهم مَن لم يكن بالأمس يَدْفع عن نفسه، والله المعافي.

ثانيا: الدعوة إلى القوميات وإحياء النزعات العنصرية القديمة في العالم الإسلامي:

مما لا يخفى أن أساس الأخوّة الإسلامية هو العقيدةُ الإسلاميةُ المشترَكةُ بين المسلمين في شتَّى أنحاءِ المعمورة، وأنّه بقَدْر تمسُّكِ

المسلمين بهذا الرباط المتين يَقْوَى ترابُطُهم وتماسُكُهم، كما تَقْوَى كذلك وتترسّخ أُخوّتُهم، ويتّحِدون في مواجهةِ أعدائِهم، والعكس صحيح.

ولقد ظَلّ المسلمون أحقابا من الزمن مؤتلفين برباط عقيدتِهم؛ يوالون ويعادون، ويسالمون ويحاربون، ويَصِلُون ويَقْطعون على أساس هذه العقيدة، فكانت الأخوّةُ بينهم يومئذٍ ظاهرةَ المعالم، قويّةَ البنيان، عظيمةَ الخطر، فاعلةَ الأثر.

لكن أعداء الإسلام والمسلمين جَدُّوا واجتهدوا، ودَبّروا وخططوا لتعكير صفو هذا الإخاء، وتوهين رِباطِه، وإضعافِ تماسكِه، كي يتمكّنوا من التغلّب على الأمة الإسلامية، فتفتّقت أذهانُهم الماكرةُ عن بثّ وزرعِ فكرة القوميات في العالم الإسلاميّ، ليعود المسلمون إلى ما كانوا عليه في جاهليتِهم مِن الخِلاف والتناحر، نتيجةَ التعصّبِ للأجناس والتحيُّزِ للأقوام، فيَضربَ بعضُهم رِقابَ بعض، ويعودوا كما كانوا أشتاتا متنافرين، وأشلاءً متناثرين.

ومع إشاعة القوميات كانت هناك جهود مستميتة لإحياء النزعات العنصرية الإقليمية القديمة في كل قطر، ومحاولةِ بعث الحياة فيها بشتى الطُّرُق، فيتفاخر الناس بما كان وبمن كانوا قبل الإسلام، من فراعنة، وبابليين، وآشوريين، وفينقيين... وينتسبون إليهم، ويجتمعون على أساس الصلة التي تصلهم بأولئك القدامَى، وينسون

شيئا فشيئا رابطةَ الدِّين وأُخوّةَ الإسلام، بل وصلة العروبة، ويصبح العربيُّ المنتسِبُ إلى عِرْقٍ معيَّنٍ كالفرعونية أجنبيا عن أخيه العربيِّ الذي يَنتمِي إلى عِرْقٍ آخَرَ كالفينيقية، فضلا عن كونه يصير أجنبيا عن بقيةالمسلمين الذين لا ينتمون إلى قوميته أو عصبيته.

ولقد غزت العالمَ الإسلاميَّ في العصر الحاضر الدعواتُ إلى القوميات، مثل القومية العربية، والقومية الطورانية، والقومية الفارسية، وغيرها، وتبِعتْها الدعواتُ العنصريةُ الإقليميةُ مثلُ الدعوة إلى الفرعونية، وما يتبعها من إحياء للتاريخ الفرعوني الوثنيِّ، وشَغْل الناسِ به، ونحوِها من الدعوات.

ولا يخفى دورُ أعداء الإسلام والمسلمين في إذكاء الدعوة إلى القوميات والعنصريات، وتولِّي كِبْرِها؛ لِعِلْمهم عِلْمَ اليقين بفداحة خطورتِها وأضرارِها على الإسلام وأهله.

جاء في تقرير القسيس المستشرق الأمريكي «زويمر ١٨٦٧ - ١٩٥٢» سنة ١٩٢٧م: « إنّ هدمَ الإسلامِ في نفوس المسلمين له أهمية كبرى في شيء واحد؛ هو مثولُ الفكرِ الغربيِّ كصديقٍ دوليٍّ، وإنّ أولَ ما يجب عملُه للقضاء على الإسلام هو إيجادُ القوميات » (١٢٨).

وإلى مثل هذا أشار المستشرق البريطانيّ «هامِلْتون جِب ١٨٩٥ - ١٩٧١» وزملاؤه، فقال: «وقد كان من أهم مظاهر فرنجة (أي

(١٢٨) معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، أنور الجندي، ص ١٥١.

تغريب) العالم الإسلاميِّ تنميةُ الاهتمامِ ببعث الحضاراتِ القديمة، التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثلُ هذا الاهتمام موجودٌ في تركيا وفي مصر وفي إندونيسيا وفي العراق وفي فارس، وقد تكون أهميتُه محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوربا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دورا مهما في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها »[(١٢٩)].

إن الدعوة إلى القوميات والعصبيات والعنصريات العِرْقية، وإشاعتَها في العالم الإسلاميِّ وباءٌ مُهْلِك، وداءٌ فتّاك، يُنْذِرُ بتلاشِي الأخوّة بين المسلمين، وإقامةِ جُدُرٍ عازلةٍ بين كثيرين من المسلمين وباقِي إخوانِهم، وتبديلِ ولاءِ المسلم ونصرتِه لينصرِفَ إلى أعداء دينِه وأُمّتِه؛ حيث يكون ولاؤُه وبراؤُه مِن مُنطلَق الروابط والعصبيات والعِرْقيات الجاهلية، فتهِن صلتُه بإخوانه المسلمين الذين لا يدخلون في دائرة القومية التي ينتمي إليها، بل وربما انقطع ولاءُ بعض المسلمين عن شعوبٍ مسلمةٍ، لأنها خارج دائرة قوميتِهم التي يتعصبون لها في الوقت الذي يمنحون ولاءَهم وحُبَّهم ونُصرتَهم لكثيرين من أعداء

(١٢٩) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين ٢/ ١٤١، مؤسسة الرسالة – بيروت. نقلاً عن كتاب إلى أين يتجه الإسلام، للمستشرق الإنجليزي (جب) وآخرين، ص ٣٤٢.

ولمزيدٍ من التفصيل حول هذا الموضوع يراجَع: الغزو الفكري التحدي والمواجهة، للمؤلف، ص ٢٢١ ـ ٢٤٢، دار الكلمة – مصر، ط الثانية ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

الدين، بزعم أنهم شركاء في قوميتهم التي إليها ينتمون.

ثالثا: الدعوة إلى إحلال اللهجات العامية محل اللغة العربية الفصحى:

إن التلاقِيَ على لغة واحدة ـ لا شك ـ عاملٌ قويٌّ من عوامل الوَحدةِ والترابطِ والتفاهم، والتقاربِ في المواقف والآراء، كما أنّه مِن شأنه وَصْلُ ما بين أهلِ اللغة الواحدة وتراثِهم الفكريِّ والثقافيِّ.

ولقد كان للغة العربيةِ حضورٌ ملموسٌ في حياة الأمة الإسلامية على مَرِّ العصور؛ حيث إنها لغةُ القرآنِ الكريم الذي يتلوه جميعُ المسلمين، ولغةُ الصلاة التي هي رُكْنٌ مِن أركان الإسلام، وفَرْضُ عينٍ على كل مسلم، «ولذلك فقد رافقَتْ رحلةَ الإسلامِ وانتشارَه إلى مختلف أنحاءِ العالم الإسلاميّ، وبها كَتَب المسلمون على اختلاف أجناسِهم وديارِهم، وأثَّرتْ تأثيرا كبيرا في اللغات الفارسية والتركية والأوردية، واللغات الأفريقية في شرق أفريقيا، واللغة الماليزية»[(١٣٠)].

ولا ريب أن ذلك الحضورَ للغة العربية في حياة المسلمين له أثرُه العظيم في تعزيز أُخوّتِهم ووَحدتِهم ـ لاسيما العربُ منهم ـ والإسهامِ في ارتباطهم بالثقافة الإسلامية التي يشتركون فيها.

وهناك مخططات منذ فترة طويلة من الزمن، ودعوةٌ روَّج لها أعداء

---

(١٣٠) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص ١٨٧.

الإسلام، ترمي إلى القضاء على اللغة العربية الفصحى ـ لغة القرآن الكريم ـ وإحلالِ اللهجاتِ العامّيّةِ في الأقطار الإسلاميةِ محِلَّها، وقد اكْتَنَفَ هذه المخططات جهودٌ جبّارة، ودعاوَى مزيَّفة، تبَنّاها كثيرٌ مِن الغربيين، وكثيرٌ مِن المستغربين، ومَشَى في ركابهم وظاهَرَهم طائفةٌ مِن أبناء المسلمين (١٣١).

ولقد دَأَبَ الاستعمارُ الغرْبيُّ طَوَالَ وجودِه في البلاد الإسلامية على رعاية مخطَّطاتِ محاربةِ الفصحى وحصارِها، وخاصة في المجالات التعليمية والثقافية، فعمِل على إضعاف شأنها مادّيًّا ومعنويا، بل إنه استطاع أن يَقضِيَ عليها، ويعزِلها من بعض البلاد التي كانت تتحدث بها، كما حدث في عددٍ مِن بلدان أفريقيا.

والحقيقة أن هذه الحربَ التي وُوجِهتْ ـ ولا تزال ـ تواجَه بها اللغة العربية، وتلك المحاولاتِ الدؤوبةَ للقضاء عليها وإماتتِها، خاصة تلك المحاولاتِ الراميةَ إلى استبدال اللهجاتِ المحليةِ العاميةِ بها؛ إنما هي تخطيط ماكر خبيث، له أهداف خطيرة، ويترتب عليه آثار تَضُرُّ بنا في الحال والمآل، وتهدِّد حاضرَنا ومستقبلَنا، إذْ هو امتدادٌ

(١٣١) للاستزادة حول دلائلِ وقوفِ أعداءِ الأمةِ في الخارج، وأَذْيالهم في الداخل وراء مخططات هدْمِ اللغةِ العربية؛ يراجَع: الاتجاهات الوطنية ٢/ ٣٥٩ وما بعدها، أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر ص١٥١ وما بعدها، مطبعة المدني – القاهرة، ط الثانية ١٩٧٢م.

لمحاربة القرآنِ نفسِه، والعملِ على إقصاء المسلمين عنه، وقَطْعِ صلةِ الأجيال بالعلوم والآداب العربية عامة، وعلومِ الشريعةِ خاصة، وامتدادٌ كذلك لمحاولات الخصومِ الدائبةِ من أجل تقطيعِ أوصالِ الأمةِ الإسلاميةِ وتفريقِها، وإيجادِ صعوبةِ - بل استحالةِ - التفاهمِ بين شعوبها، «وقَطْعِ الطريقِ على توسّع اللغة العربية المحتمَل بين مسلمي العالم، وبذلك لا تتم لهم وحدة»[١٣٢].

إن التماديَ في الدعوة إلى تشجيع العاميات وإحلالها محل الفصحى، ومتابعةَ أعداء الإسلام والعروبة في هذا الأمر لا يخدم إلا خصومنا ومخططاتهم الراميةَ إلى إيجاد الفُرقة بين بلدانِ العالم الإسلاميّ، وإذا كنا نتنادى في هذا الوقت بالأخوّة والوَحدة والتماسك - وهذا أمرٌ مفروض - فبدهي أنَّ تلاشيَ اللغةِ العربيةِ الفصحى، وانتشارَ اللهجاتِ العاميّةِ على أنقاضها يُعدّ شَرْخا واسِعا في جِدار هذه الوَحدةِ المنشودة، وعاملا كبيرا في تأخيرنا وإضعافِنا، بالإضافة إلى ما يُحدِثه هذا المخطَّطُ الماكرُ الخبيثُ مِن هُوّةٍ سحيقةٍ بيننا وبين ماضينا وسَلَفِنا، «وإذا انقطعتْ صلتُنا بقديمِنا أَمْكَن أَنْ نُقادَ إلى حيث يُرادُ بنا، وإلى حيثُ لا تَجْمعُنا بعدَ ذلك جامِعةٌ تجعلُ مِنّا قوةً تُخيفُ الكائدين، وتَأْبَى على الطامعين»[١٣٣].

---

(١٣٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص ١٩١.

(١٣٣) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٢٧٣.

رابعا: تعدد الفِرَق وتباينها:

نشأت الفِرقُ الإسلاميةُ منذ منتصف القرن الأول الهجريِّ، ثم تعاظَم أَمْرُها وأَخَذَتْ في التعدّد والكثرة والانقسام بعد عصر الخلفاء الراشدين، وإن كان بعضها قد ظهر في أواخر عهد عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه (تُوفِّي ٣٥هـ)، وعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه (تُوفِّي ٤٠هـ)، وتلا ذلك تَشَعُّبُ الفِرقِ والطوائف، وتفاوتَتْ في قُرْبِها وبُعدِها عن الإسلام، وفي غلوِّها وانحرافها تبعا لمعتقداتها وآرائها، على نحو ما هو مُفصَّلٌ في مظانِّه من كتب الفِرق والمذاهب [١٣٤].

ولئن كانت عصورُ تلك الفِرقِ القديمةِ وما تفرّع عنها ـ مما لا يكاد يُحصَى في هذه العجالة ـ قد انقضت، وذهبتْ معها آثارُها؛ فإن كثيرا من الأفكار الضالة التي انبثقت عن بعضها لا تزال باقية، بل إنّ من تلك الفرقِ ما يزال باقيا إلى اليوم، ومنها ماله دولةٌ تَرْعاه في زماننا هذا، كما أنه قد ظهرت فِرقٌ بأسماء جديدةٍ في عصرنا تتبنَّى أفكاراً هدامة، ومعتقدات سيئة باطلة.

ومن العجيب أنّ وجود هذه الفرقِ لا يقتصر على بلاد العالمِ الإسلاميِّ؛ بل تعداه ـ وبكل أسف ـ إلى حيث يتواجَد المسلمون في الدولِ غيرِ المسلمة، وصاحَبَ وجودَها اختلافاتٌ وانقساماتٌ عميقةٌ

---

(١٣٤) يُراجَع ـ على سبيل المثال ـ: الفَرْقُ بين الفِرَق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (المتوفَّ ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط الثانية ١٩٧٧.

بين المسلمين الذين يعيشون هناك، لدرجة أنّه في بعض المناطق يكون لكلِّ طائفةٍ مساجدُها الخاصةُ بها، وقد شاهدْتُ هذا الواقعَ بنفسي- في زياراتي إلى أكثرَ من ولاية في «أمريكا»، ولولا هذا التشرذمُ لكان المسلمون هناك قوةً مرهوبة !!

ومِن الفِرق الضالةِ التي لها دَورٌ في تشتيت المسلمين وتفتيتِ وَحدتِهم، وتقطيعِ أواصرِ أُخُوَّتِهم في العالم الإسلاميِّ وفي الغرب طائفةٌ تُسمَّى «الأحباش»، ومن مظاهر ضلالهم - كما رأيت في أمريكا - أنهم يُشكِّكون المسلمين أجمعين في استقبال الكعبة، ويَزعُمون أنَّهم وحدهم - من دون المسلمين قاطبة - على صواب في تحديدِ اتّجاهِ القبلة، ولا يفتأون يُثيرون هذا التشكيكَ في كلِّ وادٍ ونادٍ، ولا يكفُّون عن سبِّ علماء المسلمين الثقات (١٣٥).

(١٣٥) أثار «الأحباش» في أمريكا وكندا فتنة تغيير القبلة حتى صارت لهم مساجد خاصة، حيث حرفوا القبلة ٩٠ درجة وصاروا يتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين، حيث يعتقدون أن الأرض نصف كروية على شكل نصف البرتقالة، وفي لبنان يُصَلُّون في جماعاتٍ خاصةٍ بهم بعد انتهاء جماعة المسجد، كما اشتُهِر عنهم ضربُ أئمةِ المساجدِ، والتطاولُ عليهم، وإلقاءُ الدروس في مساجدهم لنشر أفكارهم رغماً عنهم، ويعملون على إثارة الشغب في المساجد، كلُّ هذا بمدٍّ وعونٍ من أعداء المسلمين بما يقدمون لهم من دعم ومؤازرة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع بن حماد الجهني ١/ ٤٣٠. إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، ط الرابعة ١٤٢٠هـ.

وهي «طائفة ضالة تُنسَب إلى «عبد الله الحبشي»، ظهرت حديثا في لبنان مستغِلّةً ما خلّفتْه الحروبُ الأهليةُ اللبنانيةُ مِن الجهل والفقر للدعوةِ إلى إحياء مناهجِ أهل الكلامِ والصوفيةِ الباطنية، بهدف إفسادِ العقيدة وتفكيكِ وحدة المسلمين، وصرفِهم عن قضاياهم الأساسية»(١٣٦).

(١٣٦) المرجع السابق ١/ ٤٢٧، ومن معتقداتهم:

· يزعم «الحبشي» أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى، فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى، وإنما هو عبارة عن كلام جبريل، كما في كتابه (إظهار العقيدة السنية ص٥٩١).

· «الأحباش» في القدَر جبرية منحرفة، يزعمون أن الله هو الذي أعان الكافر على كفره، وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر. (النهج السليم ٧١).

· يُرجِّح «الأحباش» الأحاديثَ الضعيفةَ والموضوعةَ بما يؤيد مذهبهم، بينما يحكمون بضعف الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا تؤيد مذهبهم، ويتجلى ذلك في كتاب (المولد النبوي).

· يكثر «الحبشي» مِن سبِّ الصحابة وخاصة معاويةَ بنَ أبي سفيان وأمَّ المؤمنين السيدةَ عائشةَ رضي الله عنهم، ويطعن في خالد بن الوليد وغيره، ويقول: إن الذين خرجوا علَى عليٍّ رضي الله عنه ماتوا ميتة جاهلية، ويكثر من التحذير من تكفير سابِّ الصحابة، لاسيما الشيخين إرضاءً للروافض. (إظهار العقيدة السنية ١٨٢).

· يعتقد «الحبشي» أن الله تعالى خلق الكون لا لحكمة وأرسل الرسل لا لحكمة، وأن من ربط فعلاً من أفعال الله بالحكمة فهو مشرك.

· كفّر «الحبشي» العديد من العلماء؛ فحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر، وجعل من أول الواجبات على المكلَّف أن يعتقد كُفرَه، ولذلك يحذّر أشدَّ التحذير من كتبه، وكذا الإمام الذهبيّ فهو عنده خبيث، كما يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرم قاتل =

هـذا عـدا فـرقٍ أخـرى حديثـةٍ كالبابيـة والبهائيـة، والقاديانيـة، وجماعات التكفير في العصر الحديث، وغيرهم.

إن هـذا التفـرّقَ ـ لا ريـب ـ شُـؤْمٌ عـلى الأمـة الإسـلامية بأجمعهـا، ونذيرٌ بتقطيع أوصالها، وذَهابِ ريحِها، ولاشك أيضا في أنه مِن أسـوأ وأخطـر العوائـق في وجـه تحقيـقِ الأخـوّةِ الإسـلاميةِ، والْتِئـامِ شـملِ المسلمين بها.

وينبغي عـلى المخلصـين مِـن أهـل الفكـر والـدعوة ـ عـلى اخـتلاف مواقعهـم ـ أن يسعوا لجمع عموم المسلمين على مـا لابـد مـن الاجـتماع عليه من القواسم المشتركة، وأما المسائل التي يسوغ فيهـا الاخـتلاف، فيَسَعُنا فيها ما وسِع السابقين مِن سلف الأمةِ الصالح.

ولْيتنبّهِ الجميعُ إلى مساعي خصـومِ الإسـلام، وليحـذروا مخططـاتهم الرامية إلى توسيع هوة الخلافات العقائدية بين المسلمين، مستغلين هـذا التفرق، كي يَعمّ المسلمين التنـازعُ والتهـاجرُ والتـدابرُ، ويكـونَ الفشـلُ والضعفُ مآلَهم، وهو ما حذر منه ربُّ العالمين ونهانا عنه.

= كافر، ويرى أن الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ كافر، وكذلك الشيخ سيد سابق فيزعم أنه مجوسيّ كافر، أما الأستاذ سيد قطب فمِن كبار الخوارج الكفرة في ظنِّه، (انظر مجلة منـار الهدى الحبشية عدد (٣ ص ٢٣٤)، النهج السوي في الـرد عـلى سـيد قطـب وتابعـه فيصـل مولوي)، أما ابن عربيٍّ صاحب مذهب وحدة الوجـود ونظريـة الحلـول والاتحـاد، والـذي شـهد العلـماء بكفـره؛ فيعتـبره «الحبشي» شيخَ الإسـلام. الموسـوعة الميسرـة ١/ ٤٢٨ ومـا بعدها باختصار.

قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال جل شأنه : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣١ـ٣٢].

خامسا: التعصب المذهبي الفقهيُّ الممقوت:

شهِدَ أواخرُ عصرِ الدولةِ الأموية (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦٢ ـ ٧٥٠م) انطلاقةَ نهضةٍ علميةٍ حضاريةٍ شاملة، كانَ من تجلِّياتها أن نَشِطت حركةُ الاجتهادِ في مجال الفقهِ الإسلاميِّ، الذي يُعْنَى بالأحكام الشرعيةِ العمليةِ المستنبَطةِ من أدلتِها التفصيليةِ، وأسفرتْ هذه الحركة عن ثروة فقهيةٍ عظيمة، تكونت من خلال اجتهاداتِ أئمةٍ أفذاذٍ، حلَّقُوا في سماء العلمِ منذ القرن الثاني الهجريّ، ثم كانت هذه الاجتهاداتُ والآراءُ لعديدٍ من أولئك المجتهدين الكبار والأئمة العِظام مذاهبَ فقهية، صار لها بمرور الزمن أتباعٌ ومقلِّدون، مع تفاوتٍ بين تلك المذاهبِ في الذيوع والانتشار، بل وفي البقاء أو الاندثار، على نحو ما هو مفصَّلٌ في مصادر تاريخِ التشريعِ وأطوارِ الفقهِ الإسلاميِّ ومذاهبِه.

ثم تتابعت القرون، وأتى على المسلمين زمانٌ نضُب فيه الاجتهاد وضعُفت حركتُه، وكثُر التقليد للأئمة المجتهدين، وفَشا مرضٌ خطيرٌ

بين كثيرٍ مِن المقلِّدين، ألا وهو التعصُّب المذهبيُّ المقيت، والانتصارُ للمذهب المتبوع، سواء أكان عن علم وبصيرة؛ أم عن هوىً وعاطفة، مع الحطِّ مِن شأن المذهب المخالف، والتشنيعِ على متّبِعيه والانتقاصِ مِن أقدارهِم، بل ومِن أقدارِ الأئمةِ الكبارِ لمجردِ أنهم على غيرِ المذهب، والنظرِ إلى آرائهم واجتهاداتِهم على أنها خطأٌ لا يحتمل الصواب، بينما كلُّ ما يتضمنه مذهب المتعصِّب صوابٌ لا يحتمل الخطأ.

ولقد بلغ التحامل على الآخرين بسبب التعصب مبلغا خطيرا من التشاحن والتباغض، بل وأحيانا العداوة التي تصل إلى حد التفسيق والتكفير للمخالفين في المذهب وليس في الدين.

قال الشيخ «عبد الجليل عيسى»:

سُئِل بعض المتعصبين من الشافعية عن حكم الطعام الذي وقعت فيه قطرة نبيذ فقال: يُرمى لكلب أو حنفيّ !!

ويقابله قولُ متعصبٍ آخرَ حنفيٍّ لمن سأله:

هل يجوز للحنفيِّ أن يتزوج المرأةَ الشافعيةَ؟

فقال: إن ذلك لا يجوز لأنها تشك فى إيمانها (١٣٧)، والإيمان لا

---

(١٣٧) يشير بذلك إلى أن الشافعيّ يُجيز أن يقول المسلم: «أنا مؤمن إن شاء الله»، وبدلَ أن يَحمِل المفتي الحنفيُّ قول الشافعي «إن شاء الله» على قصْدِ التبرّك ـ كما صرّحوا به ـ، أو على معنى: أنا مؤمن عندما يُدركني الموت إن شاء الله؛ بدلَ أن يحمِله على ذلك حمله هو =

يصح إلا إذا كان مقطوعا به.

ويفتي حنفيٌّ آخرُ بأنه يجوز للحنفيّ أن يتزوج الشافعية لا على أنها مؤمنة؛ بل بقياسها على الكتابية (اليهودية والنصرانية) التي تجوز للمسلم بالاتفاق.

وقال بعض متعصِّبي المالكية: إن مَن حلف على أن جميع ما في كتاب موطأ مالك مِن الأحاديث صحيح لا يحنث في يمينه.

أمّا مَن حلف على أن جميع ما في البخاريّ ومسلم صحيح فإنه يحنث في يمينه !!.

فما معنى هذا الكلام؟ والحكم بالحِنْث لا يكون إلا بدليل شرعيٍّ مِن كتاب أو سنة، فأين هذا الدليل؟

الحق أنه ليس هناك دليل اللهم إلا التعصّب البغيض الذي أخذ يعمل عمله في تقطيع أواصر المسلمين، حتى جعلهم شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون؟

ومِن هذا النوع مِن التعصّب الكريه ما قاله متعصِّبٌ آخرُ مِن مشاهير علماء الأحناف، ذلك هو الشيخ أبو الحسن عبد الله الكرخي المتوفَّى ٣٤٠ هـ، حيث قال ـ ويا سوءَ ما قال ـ :

= على الشك، وأصدر فتواه بتكفير ملايين المسلمين بدون وجه حق.

(ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر، ص ٦٩ هامش، مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة، ط الرابعة).

كلُّ آيةٍ أو حديثٍ تخالف ما قرره علماء مذهبنا فهي إما مؤوَّلةٌ أو منسوخة.

يالله للمسلمين !! أليس معنى هذا هو أنه يجب أن يكون قول علمائه هو المتحكم والمهيمن على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن وافقاه قُبِلا وإلا وجب تأويلُهما لِردِّهما لقولهم.

وإن لم يُمكِن تأويلُهما حُكِم عليهما بالإعدام وهو النسخ.

هل هذا هو ما جاء نصًّا في القرآن الكريم مِن قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

أليست الآية نصًّا في أن الذي يحكم في الخلاف إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافقهما فهو الصحيح، وما خالفهما فهو المردود؟ (١٣٨).

وقد طغى هذا التعصب في تلك الفترات على حقوق الأخوّة وواجباتها، وأدى إلى فساد ذات البين، وتقطيع الأواصر بين المسلمين، وعدم مراعاة حرمة المسلم، و «وصل الخلاف والخصام بين مقلدة المذاهب إلى درجة خطيرة، فعادى بعضهم بعضا وصار يسعى بعضهم بالكيد والأذى للبعض الآخر، فتسبب ذلك في الفتن

(١٣٨) السابق، ص ٦٩ ـ ٧٢ باختصار.

الكثيرة، والقتال فيما بينهم » (١٣٩).

مضت الأمور على هذه الحال الرديئة، مخلفة أسوأ الآثار على الأخوّة الإسلامية، ثم شاء الله تعالى أن تنزوي وتتلاشى حدة التعصب المذهبيّ، ويبرأ المسلمون من كثير من مظاهره بعد ذلك حينا من الزمن إلى عصرنا هذا.

بيْد أننا صرنا نلحظ في العصر الحاضر انتكاسة أخرى، وعودة جديدة لشبح التعصب المذهبيِّ الممقوت، إذ نبتت نابتة بئيسة من المنتسبين إلى التدين ومِن أدعياء السلفية في هذا الزمن أخذت تنفخ في رماد التعصب المذهبيّ، وتؤجج ناره، وتُحْيِي ما اندثر من أشكاله ومظاهره، وتعيد إلى الحياة الإسلامية من جديد تلك السلوكيات المقيتة لأرباب التعصب الغابرين، وتتولى كبرها، مُحْدثةً تَصدُّعات خطيرةً في صرح الأخوّة بين المسلمين.

وقد كان لعودة مرض التعصّبِ المذهبيِّ أسبابٌ كثيرة، منها:

جهلُ المقلِّدين، وتوجيهُهم إلى المطالعة في مذهبهم فقط، وتبغيضُ الاطلاعِ على غيرِه، أو الأخذِ عن أحدٍ سِوى شيوخِهم.

ولا عجب أن رأينا في زماننا هذا مِن أناسٍ يدّعون السلفية احتقارَ أيِّ رأْيٍ أو اختيارٍ فقهيٍّ لا يوافِق اختيارَهم، والانصرافَ عن أيِّ

(١٣٩) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ص٥٤ ، وفيه مراجعه.

عالِمٍ يخالِف ما يقول به مشايخُهم، كائنا مَن كان هذا العالِم.

ويرحم الله الإمامَ الشاطبيَّ حين حذَّر من خطورة هذا المسلك، حيث ذكر «أَنَّ اعْتِيَادَ الِاسْتِدْلَالِ لِمَذْهَبٍ وَاحِدٍ رُبَّمَا يُكْسِبُ الطَّالِبَ نُفُورًا وَإِنْكَارًا لِمَذْهَبٍ غَيْرِ مَذْهَبِهِ، مِنْ غَيْرِ إِطْلَاعٍ عَلَى مَأْخَذِهِ، فَيُورِثُ ذَلِكَ حَزَازَةً فِي الِاعْتِقَادِ فِي الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى فَضْلِهِمْ وتقدُّمِهم في الدِّينِ، وَاضْطِلَاعِهِمْ بِمَقَاصِدِ الشَّارِعِ وَفَهْمِ أَغْرَاضِهِ»(١٤٠).

ومِن الأسباب أيضا أنّ هناك شيوخا حبَسوا أنفسَهم في إطارٍ مَذْهبيٍّ معيَّن، لا يقبلون غيرَه، أو يتسامحون معه، مع جُرأة شاذةٍ في تخطئة المخالِف، ولو كان مِن أعيان وأتقياءِ فقهاءِ صحابة رسول الله ﷺ !!

ومن الأمثلة الصارخة على هذا النموذج ما كان مِن الشيخ «ابن باز» عندما ذهَبَ إلى حُرْمة الأخذِ مِن شعر اللحية، فاصطدم بما كان من «ابن عمر» رضي الله عنهما؛ حيث كان يأخذ مِن لحيتِه، لكنّ الرجل لم يجد حرجا في تخطئة الصحابيِّ العظيم، ولم يَفُتْه في ذات الوقت أن يسْأل اللهَ له المغفرةَ والعفو !!!!!

---

(١٤٠) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفَّى ٧٩٠هـ)، ٣/ ١٣١ ـ ١٣٢، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م. .

وهذا نصُّ كلام «ابن باز»:

«وأمّا مَا ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأخذ من لحيته في الحج والعمرة من طولها ما زاد على القبضة، ويتأول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]؛ فهذا من رأيه واجتهاده، كان يقبض عليها فما خرج من بعد القبضة من أسفل اليد قصّه في حَجّه وعُمرتِه، ويرى أن ذلك من تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾، وهذا ليس بصحيح؛ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة، والله يغفر له رضي الله عنه، هذا اجتهد فيه والمعوّل على السنة، على كلام النبيِّ ﷺ، ومَا عارض كلام النبيِّ ﷺ لا يُعوَّل عليه، وقصارى ذلك أن يقال: اجتهد فأخطأ والله يعفو عنه» (١٤١).

والحقيقة أن هذا الكلامَ في حق «ابنِ عمر» الذي كان مِن أفقه الصحابة، وأكثرهم حرصا على الاقتداء بالرسول ﷺ، بل المبالغةِ في الاقتداء؛ يُعدُّ ضرْبا من التعصّب الكريه، والجرأةِ المرفوضةِ على مقام مَن هم أعلمُ الناس بشرائع الدين وشعائره، وأشدِّهم حرصا على اتباع هَدْيِ النبيِّ ﷺ.

---

(١٤١) (فتاوى نور على الدرب ٤٨٦) التفريغ النصِّي، موقع «إسلام ويب» الإلكتروني، والموقع الرسمي للشيخ عبد العزيز بن باز.
وجديرٌ بالذِّكْر أنِّي قد سمعْتُ الحلقةَ التي قال فيها هذا الكلامَ في برنامج (نور على الدرب) مباشرة، مِن إذاعة القرآن الكريم بالسعودية.

وكأنّ «ابنَ باز» كان أعلمَ بسنّة الرسول ﷺ القوليةِ والعمليةِ وسائرِ هَدْيه ﷺ مِن «ابن عمر»!!

فماذا يُتَوَقَّع مِن مِثْلِ هذا النَّهْجِ إلا إذكاءٌ لِنار التعصبِ المذهبيّ الممقوت، وادعاءِ احتكار الحقيقة؟

ولقد عاينْتُ بنفسي- وعايشْت واقع أناس من المحسوبين على الدعوة والمنتسبين إلى الدعاة يثيرون من الفتن والخلافات والفرقة الكثيرَ في المكان الذي يحُلّون فيه، بسبب تبنيهم لرأي فقهيٍّ معين وتشيّعهم له، في مقابل تسفيه الرأي الآخر والتشنيعِ على قائليه، والعاملين به كذلك، ورمْيهم بالفسق والبدعة، وأحيانا اتهامِهم في عقيدتهم .. وهكذا رأيت هؤلاء النفر يتصرفون ويتعاملون مع الآراء الأخرى من منطلق «رأينا صواب لا يحتمل الخطأ، ورأي الآخرين خطأ لا يحتمل الصواب» !! بعكس الأئمة المجتهدين السابقين رحمهم الله، الذين كان شعارهم وحالُهم: «رأْيُنا صوابٌ يَحتمِل الخطأ، ورأْيُ غيرِنا خطأٌ يَحتمِل الصواب».

والعجيب أن المسائل والقضايا التي يفتعلون معارك دامية حامية الوطيس بسببها، إنما هي مسائل خلافية، لم يدَّعِ أحدٌ مِن أهل العلم المرموقين سلفا كانوا أم خلفا، أنها مسائل مُجمَعٌ عليها، بل الواقع أن الخلاف قائم حولها منذ عصور الأقدمين، وذلك مثل جواز كشف الوجه للمرأة وعدمه، وزكاة الفطر وجواز إخراجها قيمة وعدمه،

وموضوعات أخرى كاللحية من حيث جواز حلقها وعدمه، أو مجرد الأخذ منها، والتصوير الذي ظهر حديثا، من حيث جوازه أو حرمته، وزيارة القبور للنساء، هل تجوز أم تحرم ؟ ... وغيرها من الموضوعات والقضايا الفقهية الخلافية.

رأيت أناسا يقلِّد أحدُهم رأيا ما في المسألة، ثم يتعصب له تعصبا ممقوتا، ويود أن لو استطاع حمل الناس عليه بالسوط والعصا، أما المخالف صاحب الرأي الآخر فله الويل والثبور، وينال من التشنيع والتشهير به الحظَّ الموفور، وليت الأمر مقصور على بلاد المسلمين، بل رأيتُ هذا المسلك في ديار الغرب، ما أدى إلى الفرقة وفساد العلاقات بين المسلمين في البلاد الإسلامية والأجنبية على السواء.

إن هذا التعصّبَ المذهبيَّ الذي أطل برأسه من جديدفي هذا الظرف الحرج من تاريخ الأمةِ لهو أمرٌ خطير، يضر ـ لاشك ـ بأخوة المسلمين، وهو كفيل بأن يحدث فيها تصدعات تهدد كيانها واستمرارها على نحو فعال ومثمر، فعلى من يسلكون هذا المسلك أن يتقوا الله عز وجل، ويتحلوا بقدر من التسامح في الرأي مع ذوي الآراءِ المغايرة، وأن يتجردوا من الهوى، وليتذكروا أنه لا إلزام في الخلافيات، وليعلموا أن للأخوّة حقوقا وواجبات تجب مراعاتها، مع جميع المسلمين؛ سواءٌ أكانوا مخالفين أم موافقين لهم في الرأي، فليحافظوا عليها، وليكونوا عاملا من عوامل النهوض بها

وازدهارها، لا سبباً في إضعافها وتعويق مسارها.

سادسا: وجودُ أنظمةٍ حاكمةٍ ذاتِ توجّهاتٍ علمانيةٍ في كثيرٍ مِن البلاد الإسلامية:

بعد رحيل الاستعمار الغربيِّ عن معظم بلاد العالم الإسلاميِّ في منتصف القرن العشرين الميلاديِّ برزت أنظمةٌ حاكمةٌ ذاتُ توجهات غير إسلامية، بل وأحيانا توجهات معادية للإسلام، سواء أجاهرت بها أم أخْفتْها، ولا تزال توجد إلى الآن أنظمةٌ شيوعية وقومية علمانية سافرةٌ، في بلاد العروبة وعالَم الإسلام.

وهذه الأنظمة لا تؤمن بسيادة مبدأ الأخوّة الذي تنادي به شريعة الإسلام، ومن ثَم فلا يوجد لديها استعدادٌ للإسهام في توثيق عُرَى الأخوّةِ الإسلامية على مستوى العالم الإسلامي، بل أحيانا بعضها يعادي مبدأ الأخوّة على أساس الدين، لاسيما الأنظمة التي تتبنى النّهْجَ القوميَّ ونحوَه، كما هو حال مَن يرفعون رايةَ القوميةِ العربية.

ولكم سخّرتْ تلك الأنظمةُ ذاتُ التوجهاتِ غيرِ الإسلامية وسائلَ الإعلام والتعليم والثقافة في بلدانها لنشر وبثِّ الفكرِ المعاكسِ للشريعة الإسلامية - عموما - ولمبدأ الأخوّة الإسلامية خصوصا، مثل الدعوة إلى القوميات والعنصريات الإقليمية الضيقة، والترويجِ للشبهات والدعاوَى الخبيثةِ مثل دعوى أن الدين يفرق لكن القومية هي التي تَجْمَع، والتشنيعِ على أيةِ جماعةٍ أو هيئةٍ تدعو

إلى إحياء الرابطة الإسلامية، وجعلِها الإطارَ الذي يُوحِّد المسلمين في العالم، ويَجْمَع شملَهم.

في ظل هذه الأنظمة تذبل مشاعر الأخوّة الإسلامية، وتنشأ الأجيالُ المسلمةُ ضعيفةَ الولاء والارتباط بالمسلمين في العالم، وهذا من أخطر العوائق في طريق أُخوّةِ المسلمين.

سابعا: ضعف التدين:

إنه لا شيء كالتديّن السليم - إيمانا وعبادة وأخلاقا - يُمكن أن يَحمِل المسلمَ على التشبّثِ بالأخوّةِ الإسلاميةِ، والقيامِ بحقوقها على الوجه الذي شرعه الله تعالى.

أما إذا ضعُفَ التدين وصار هزيلا في مجتمع ما، وكثُرَ غيرُ المتدينين فيه؛ عاد هذا على الأخوّة الإسلامية بالضعف والانكماش.

وإذا كان جوهرَ التدينِ لدى المسلمِ هو الالتزامُ بشعائرِ الدينِ وشرائعِه، فإن لهذه التشريعات أثرا كبيرا في تعميق روح الأخوّة بين المسلمين، وتقوية الشعور بها في نفوسهم، كما أن لها أثرا مهما في أداء المسلم لحقّ أخيه عليه، والقيام بواجبه نحوه.

إن العقيدةَ الإسلاميةَ التي يجتمع عليها المسلمون، من الإيمان بالله، وأنبيائه وملائكته وكتبة ورسله، واليوم الآخر، وبالقدَر خيرِه وشرّه، ومقتضياتِها كالولاء لجميع المسلين، وكذلك العبادات من صلاة وصيامٍ وحجٍّ وغيرها؛ لجَديرةٌ بأن تُوحِّد جموع المسلمين - إذا

تحققوا بها ـ تحت مِظلّة الأخوة النابعة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وأن تزيل الفوارقَ الأرضيةَ، وتبدِّدَ الحواجزَ العرقيةَ والقوميةَ التي فرّقَتْهم، وتعيدَهم إلى أُخوّتهم وترابطِهم على أساسٍ واحدٍ هو كونُهم مسلمين، لا فرق بين عربيٍّ ولا أعجميٍّ، ولا بين أسودَ ولا أبيضَ إلا بالتقوى.

ولقد ابتُلِي المسلمون في عصرنا الحاضر بأنظمةٍ حاكمةٍ ذاتِ توجّهات علمانية أو شيوعية، عمِلت على توهين صلات الأفراد والمجتمعات بالله تعالى، وتَبَنّت خطةً مُمَنْهَجة لإضعاف التدين وإبعادِ الناس عن خالقهم، ونشر الضلال والانحلال بين الأجيال، فنبتَتْ في العالم الإسلاميِّ نابتةٌ بئيسةٌ وهَنتْ صِلاتُها بالله ربِّ العالمين، وانْحلَّت تبعا لذلك رابطتُها ببقية المسلمين.

وشتان بين مسلم متديِّنٍ، وآخرَ مفرِّطٍ مضيِّعٍ؛ فالأولُ سوف يكون حريصا على وصْل ما أمر الله به أن يوصل، متعبِّدًا لله بالقيام بحقوق إخوانِه عليه، ساعيا في صيانة أُخوّتهم، الأمر الذي يجعلهم يبادلونه نفس المعاملة، ومن ثَم تقوى أواصر الأخوّة، ويتماسك بنيانها بكثرة هذا الصنف، وأما الآخر المفرِّط فهيهات أن يكون حريصا على صيانة الأخوّة والقيام بحقوقها، بل سيهملها ويضيعها.

ولذلك فإن مِن أولويات أهل العلم والتربية في العالم الإسلامي ـ

على اختلاف مواقعهم ـ أن يعملوا على صياغة جيلٍ مسلمٍ ربّانيٍّ يتحقق به مَجْدُ الإسلام وعِزُّ المسلمين، وربُّنا المستعان.

الفصــــــل الخامس

واجب المسلمين في النهوض بالأخوّة الإسلامية

إذا كانت هناك عوائق في طريق تحقيقِ الأخوّة الإسلامية وتطبيقِها على الوجه الذي شَرَعه الله عز وجل ـ كما أشرنا ـ؛ فإنه يجدر بنا أن نعمل ـ نحن المسلمين ـ قدْر استطاعتِنا على النهوض بهذه الأخوّةِ، كيْ تَقْوَى وتُؤتيَ ثمارَها المرجوّةَ، وتُحقِّقَ آثارَها الطيبةَ في حياة الأمةِ الإسلاميةِ حاضراً ومستقبَلا.

وانطلاقا مِن كَوْن المسلمين جميعا شركاءَ في واجب النهوضِ بالأخوّةِ ـ وليس فئةً دون أخرى ـ يمكن أن يكون لكلٍّ منهم ما يُسْهِم به في أَداءِ هذا الواجِب ـ كلٌّ في موقعه، وبِحَسَبِ استطاعتِه ـ؛ فالعلماء والمربُّون والحكام والأسرة، وعامّة الأفراد في المجتمع ... لكلٍّ منهم جُهْدُه وإسهامُه النافع.

هذا، وإنّ أولَ وأهمَّ سُبُلِ النهوضِ بالأخوّةِ الإسلاميةِ وتفعيلِها في واقع المسلمين هو العملُ على إزالة تلك العوائقِ التي تعترضها، وتزيد مِن ضَعفِها في حياتهم، وقطْعِ الأسبابِ التي تُؤدِّي إلى تلك العوائق.

وهذا بعضُ ما يجب علينا القيامُ به في هذا الشأن، على النحو التالي:

أولا: واجب الحكام:

إن أولي الأمرِ والحكام في العالم الإسلاميِّ تقع على عاتقهم مسئوليةٌ عظيمة في النهوض بالأخوّة الإسلامية، وتثبيتِ أركانها، وتقويةِ بنيانها، ويجدر بهم أن يُسهموا في هذا الأمر ويفيدوا أكثر من غيرهم، نظرا لطبيعة موقعهم، وما بأيديهم من الصلاحيات والوسائل التي لا تتاح لمن سواهم.

عن نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب، يَقُولُ: «لَمَا يَزَع اللهُ بالسلطان أعظمُ مما يَزَع بالقرآن» (١٤٢).

ومما ينبغي على حكام المسلمين فِعْلُه في هذا الشأن ما يلي:

١ـ إن على حكامِ المسلمين أن يختصروا المسافات، ويقطعوا الطريقَ على أسبابِ التخلف والوَهْنِ الحاصلِ في الأمة اليوم، فيَعْمِدوا إلى تطبيقِ شريعةِ الله عز وجل على نحو ما شرع الله سبحانه وأراد، وخاصةً ما له صِلَةٌ بتقوية أواصر الأخوّة والتماسك بين المسلمين،

(١٤٢) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣هـ)، ٥/ ١٧٢، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

وأورده الحافظ «ابن كثير» منسوبا إلى «عثمان بن عفان» رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ». البداية والنهاية ٢/ ٣٠١.

و «يَزَع»: يمنع ويكُفّ ويزجُر. والمعنى: مَنْ يَكُفُّ عنِ ارْتِكابِ الجَرَائِمِ مَخافَةَ السُّلْطَانِ أَكْثَرُ مِمَّنْ تَكُفُّه مَخافَةُ القُرْآنِ بالأَمْرِ والنهيِ والإِنذار. تاج العروس ٢٢/ ٣١٨ بتصرف.

وهو تطبيقُ نظام الخلافة الإسلامية، الذي يفضي - حتما - إلى العزة والمَنَعَة، والتماسك والترابط في ظل أخوة الدين والعقيدة.

وتطبيق نظام الخلافة الإسلامية في هذا العصر لا يعني بالضرورة أن يفقِد معه الحكامُ وأولو الأمرِ مناصبَهم؛ كلا ! بل يمكن أن يتحقق في صورة مجلس للخلافة، ويضم في عضويته حكامَ المسلمين جميعا، مع بقاء كلٍّ منهم في مكانه وحكمه، ويُختار من بينهم الخليفةُ العامّ للمسلمين، وتصدر القرارات المتعلقة بالشأن العامّ للعالم الإسلاميّ عن ذلك المجلس، وأما فيما يتعلق بالشئون الداخلية فلكلِّ حاكمٍ إقليميٍّ أن يتخذ من التدابير والقوانين ما يراه صالحا لبلده في إطار شرع الله جل وعلا، وهذا ما تطمح إليه الجماهير العريضة في أنحاء الأمة الإسلامية اليوم، فعلى أولي الأمر أن يقدِّموا مصلحة الأمة على المصالح الخاصة، لتعود للمسلمين قوتهم، وكرامتهم السليبة، بسبب عدم تطبيق شريعة الله عموما، وغياب نظام الخلافةِ الذي يجعل منهم بنيانا متماسكا، وكيانا قويا، يشدّ بعضُه أَزْرَ بعض، ويجعل منهم قوةً تُخيف الطامعين، وتأبى على الكائدين، وتكسر المعتدين.

٢ـ وإلى أن يتحقق هذا الأملُ العظيم الذي يراود كلَّ مسلم مخلص، فإن الواجبَ على أولي الأمر والحكام في العالم الإسلاميِّ أن يبذلوا أقصى ـ ما في وسعهم لتفعيل دور المنظمات والتكتلات الإسلامية التي يمكن أن تعزِّزَ أُخُوّةَ المسلمين ووَحدتَهم، وتصلَ بهم

إلى جمْع الكلمة، ولَمِّ الشمل في إطار الإسلام، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي [١٤٣]، وما يماثلها من المنظمات والتجمعات الإسلامية العالمية في مجالات الاقتصاد والثقافة والسياسة، وغيرِها مما يصُبُّ في

---

(١٤٣) تقرر إنشاء منظمة المؤتمر الإسلاميّ في القمة الإسلامية التي عُقِدت بالرباط عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، وتم إقرار ميثاق المنظمة في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية بجدة عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

ويُمثِّل النشاطُ الرئيسيُّ لهذه المنظمة على مستوى وزراء خارجية الدول الإسلامية أو ملوكها ورؤسائها.

وتهتم منظمة المؤتمر الإسلامي بالمسلمين في جميع أجزاء العالم، بحيث أصبحت ملجأً كلِّ الجماعات والأقليات المسلمة في العالم.

ومن أهدافها ـ كما جاء في المادة الثانية من الميثاق ـ:

١ـ تعزيز التضامن الإسلاميِّ بين الدول الأعضاء.

٢ـ دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية، وفي المجالات الحيوية الأخرى.

٣ـ العمل على محو التفرقة العنصرية والقضاء على الاستعمار في جميع أشكاله.

٤ـ اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥ـ تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة، وتحريرها، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني، ومساعدته على استرجاع حقوقه، وتحرير أراضيه.

٦ـ دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية.

٧ـ إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى.

(حاضر العالم الإسلامي، محمد جميل عبد الله المصري، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ باختصار وتصرف. نقلا عن: التكتلات والأحلاف، محمد عزيز شكري، ص ١٤٦).

مجال إحياء وتقويةِ التضامن الإسلاميّ، بدلا من توزّع الأقطارِ الإسلامية وتمزُّقِها بين الأحلاف والتكتلات والتجمعات الشرقية تارة والغربية أخرى، ولم تَجْنِ من وراءِ هذا إلا مزيدا من الضعف والتبعية، والدوران في فلك هذه الكتلة أو تلك من الكتل غير الإسلامية، شرقيةً كانت أم غربية.

٣ـ ومن واجب الحكام في البلدان الإسلامية أن يستشعروا مسئوليتَهم وأمانتَهم فيعملوا على ضبط مسارِ وسائلِ الإعلام والثقافة والتربية والتعليم في بلدانهم، فيوجهوا تلك الوسائلَ بما ينسجم مع مبادئ الإسلام، وأن لا يتركوها تسيل بمضمون معاكسٍ لتوكيدِ وتثبيتِ مبدأ الأخوّة بين المسلمين، وأن تكونَ وسائل صالحة وأدواتٍ معضِّدةً وداعمةً للإخاء الإسلاميِّ، لا مُوهِنةً له.

إن مِن حقِّ الشعوب المسلمةِ على حكامِها أن لا تطفحَ وسائلُ الإعلامِ والتثقيفِ والتعليمِ وغيرِها بما يُصادِم دينَها وأحكامَ شريعتِها الإسلاميةَ التي تؤمِنُ بها.

إن مما يؤسف له أن وسائل الإعلام والتعليم في كثير من الأقطار الإسلامية قد غدت صوتَ إفسادٍ وإضلالٍ فكريٍّ وعقديٍّ وأخلاقِيٍّ، ويتحمل المسئوليةَ عن هذه الوضعِ أولو الأمرِ بالدرجةِ الأولى، لأنهم الوحيدون القادرون على ضبط مسارِها، وإصلاحِ حالها، وجَعْلِها سبلَ هدايةٍ، لا وسائل غواية.

ثانيا: واجب العلماء والدعاة:

إن للعلماء والدعاة إلى الله تعالى دورا عظيما في تعزيز الإخاء بين المسلمين، والقضاءِ على ما يعترض سبيلَه ويُوهِن قُوّتَه؛ ذلك أنهم ورثة الأنبياء في التغيير والإصلاح، وهم دائما حَمَلَةُ مشاعلِ الهدايةِ، وصمام الأمان للخلق من الضلال والهلاك، بما يقومون به من جهود البيان والبلاغ، والنُّصحِ والإرشاد، والأخذ بأيدي الناس إلى صراط اللهِ المستقيم.

إن للعلماء والدعاة إلى الله تعالى دورا عظيما في تعزيز الإخاء بين المسلمين، والقضاءِ على ما يعترض سبيلَه ويُوهِن قُوّتَه؛ ذلك أنهم ورثة الأنبياء في التغيير والإصلاح، وهم دائما حَمَلَةُ مشاعلِ الهدايةِ، وصِمامُ الأمان للخلق من الضلال والهلاك، بما يقومون به من جهود البيان والبلاغ، والنُّصحِ والإرشاد، والأخذ بأيدي الناس إلى صراط اللهِ المستقيم.

ويجدر بالعلماء والدعاة أن يضْطَلِعوا ـ في هذا الشأن ـ بواجبات مهمة، منها:

١ ـ أن ينصحوا للمسلمين ـ حكاما ومحكومين ـ، وأن يُبَيِّنوا للجميع أهميةَ الأخوّةِ الإسلامية، ومنزلتَها مِن الشرع، ومنزلتِها مِن الشرع، ويُنَبِّهوهم إلى خطورةِ شأنِها وضرورتِها، ويُبَيِّنوا آثارَها في حياةِ الأمة أفرادا ومجتمعات، وأن يذكِّروهم بكل ما مِن شأنه أن

يُرغِّبهم في التمسك بأخوّتهم والالتفاف حولها، ويُحذِّرَهم من إهمالها وتضييع حقوقِها.

إن على العلماء ـ في هذا الزمن خاصة ـ أن يجتهدوا في الدعوة إلى تقوية أواصر الأخوّة الإسلامية، وإحياءِ التضامنِ الإسلامي؛ حيث إن المسلمين في هذا العصر قد زادت معاناتهم، وهانوا على غيرهم ـ أفرادا وجماعات ـ بسبب انفراط عِقْدِ أُخُوّتِهم وضعْفِ الولاءِ فيما بينهم، فما أشدَّ حاجتَهم إلى الوَحدة الإسلاميةِ المبنيّةِ على أساس الإخاء في الدين، لِدَرْءِ المفاسدِ التي تحيط بهم، والفتن التي تغشاهم وتكتنفهم.

٢ـ ومن واجب العلماء والدعاة أن يعملوا على تعميق التدين الصحيح لدى جماهير المسلمين، حيث إن هذا الأمر يخدم قضية النهوض بالأخوّة الإسلامية، ذلك أنّ شعائرَ الدِّينِ وتشريعاته تُقَوِّي رابطةَ الإخاءِ في نفس المؤمنِ المتَّبِعِ لدينه، المتمسِّك بشرائعه وشعائره، فإذا ما زكت روح التدين لدى المسلمين ازدهرت روح الأخوّة، وثبتت دعائمها فيما بينهم، وقد سبق أن أشرنا إلى أنَّ لِتشريعاتِ الإسلامِ المختلفةِ دوراً كبيراً، وأثراً بالغاً في إحياء الترابطِ والأخوّةِ والوَحدةِ بين المسلمين.

وحقًّا ما قاله «جمالُ الدِّينِ الأفغانيُّ»: «أَمَا وعِزّةِ الحقِّ وسِرّ العَدْل، لو تُرِكَ المسلمون وأنفسَهم بما هم عليه مِن العقائد، مع رعاية العلماءِ

العاملين منهم، لتعارفَتْ أرواحُهم، وائتلفت آحادُهم » (١٤٤).

٣- ومن واجب العلماء والدعاة في هذا الشأن أن يبدِّدوا سُحُبَ اليأسِ والقنوط، ويُعَمِّقُوا الآمال في نفوس الأجيالِ بتجاوزِ هذه الحال التي آلت إليها أمتُنا مِن الفُرقة والتشتت، والوَهْنِ والتردِّي، وأن يبثوا في جموع المسلمين في العالم أن التلاقِيَ على الأُخوّة والاتحادَ في ظلها، والتماسكَ برباطها على الوجه الذي شَرَعَه اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أمرٌ ممكن في هذا الزمان، على الرّغْم مِن وجود المعوِّقات، وأنّ عودة المسلمين إلى موقعِ الريادةِ والسيادةِ، وتَبوُّءِ مقامِ الصدارةِ في العالم ليس بالأمر المحال، بل إنّ هناك بوادرَ يقظةٍ في العالم الإسلاميِّ قد بزغ فجرُها ولاحَ نورُها، وغداً ـ بمشيئة الله ـ تُشرِق شمسُها، ويَعُمُّ الكونَ ضياؤُها.

«ولذلك لا نيأس من أن تعودَ الوَحدةُ الإسلاميةُ كما بدأَتْ قوية، وتجعلَ مِن المسلمين جماعة واحدة، تقف أمام الكتلة الشرقية والكتلة

---

(١٤٤) مجلة المنار، من محاضرة الشيخ «مصطفى عبد الرازق» في «رينان والأفغاني»، مجموعة الأعداد الكاملة ج ٢٤ ص ٤٦٦، أصدرها الشيخ «محمد رشيد رضا»، وقد أُنشِئت سنة ١٣١٥هـ، وصدر العددُ الأولُ منها في (٢٢ من شوال ١٣١٥هـ ١٥ من مارس ١٨٩٨م)، وكان الشيخ «رشيد رضا»، يكتب على الصفحة الأولى: «المنار مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران»، وكان آخِرَ مَن تولى إصدارَها ـ بطلبٍ مِن أسرة الشيخ «رشيد رضا» ـ؛ الإمامُ المرشدُ «حسنُ البنا» مؤسِّسُ جماعة «الإخوان المسلمين»، إلى أن توقفت عن الصدور في سنة (١٣٥٩هـ ١٩٤٠م).

الغربية، وغيرِها من الكتل التي تتجمع وليس فيها للإسلام مكان، وأن الجماعة الإسلامية ستكون مصدر خير للإنسانية كما كانت في عصر النبي ﷺ وعصر الراشدين مِن بعده، بل عصرِ الملوكِ الذين كانوا يَحكُمون المسلمين وهم مجتمعون، سواء أكان الحُكمُ كما جاء في القرآن والسنة، أم خالفوه في مناهجَ قلّتْ أو كثُرتْ» (١٤٥).

٤ـ ومن واجب العلماء والدعاة أن يجاهدوا بالقلم واللسان لإزالة المعوِّقات الفكرية والثقافية التي تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق أخوّة المسلمين، وتجمُّعِهم ووَحدتِهم على أساس دينهم، فيكشفوا زُيُوفَ وتلبيسَ الدعواتِ الضالةِ الهدَّامةِ التي تعاكس وتحاربُ مبدأ الإخاءِ الإسلاميِّ، وتناهض وجودَه وتفْعِيلَه في نفوس المسلمين وواقعِهم، وذلك مثل الدعوة إلى القوميات والعنصريات، والدعوة إلى هجر اللغة العربية الفصحى، واستبدال اللهجاتِ العاميةِ بها وإحلالها محلَّها، وأنْ يعملوا على مقاومة وإزاحةِ أسباب وعوامل الفُرقةِ والتنافرِ بين المسلمين كالتعصب المذهبِيِّ الممقوت، وغير هذا من المعوقات التي يصنعها أعداؤنا أحيانا، أو نصنعها نحن أحيانا أخرى.

٥ـ وينبغي على العلماء والدعاة أيضا توظيف الأحداث والنوازل التي تنزل بالمسلمين، والمصائب التي يرميهم أعداؤهم بها، في تدعيم وتعزيز مبدأ الأخوّة الإسلامية، والتدليل على أهميته وضرورته في

(١٤٥) الوَحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص ٤ ـ ٥.

حياة الأمة، فها هي ذي المصائب التي تلحق بالمسلمين في أرض الرباط فلسطين، من قبل إخوان القردة والخنازير، وبمؤازرة الصليبين الحاقدين، حيث يتعرضون لأشنع ضروب الإيذاء والتنكيل، مِن قتْلٍ للأنفس وهدم للبيوت وتفجيرها على من فيها من المسلمين، نساء وأطفالا وشيوخا، وتجريف للأرض المزروعة وإتلاف للأخضر واليابس، بل وقتل متعمد للأطفال، وهتك للعورات والحرمات ...، كل هذا وغيره على مرأى ومسمع من العالم الذي يدعي التحضر، وتحت سمع وبصر ما يُسمَّى بالنظام الدولي الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الزمان.

وليس الأمر مقصورا على المسلمين في فلسطين؛ بل هناك المسلمون في كشمير يسامون الفتنه من قبل عباد البقر في الهند، وطالت الفتنه كذلك المسلمين في الفليبين من قبل النصارى، وفي الشيشان من قبل الملاحدة في روسيا ... كل هذا والمسلمون كأنهم عن هذا العالم غائبون !!

علينا - نحن العلماء والدعاة - أن نبين لعموم المسلمين أن هذه الفتن التي تلحق بالمسلمين هنا وهناك وهنالك ما كانت لتحدث لولا أنّ عِقْد المسلمين مُنفرط، وأُخوّتَهم مُضيَّعة، أو قل مغيبة، ووَحدتُهم الإسلاميةُ غير قائمة، والولاءُ بينهم لا أثر له في الواقع ... فكانت الفتنة، وكان التقطيع مستمرا في الجسد الإسلامي المخدَّر في

هـذه الآونـة، وهـذا مِـن أعظـم آثـار غيـاب الأخـوّة والـتلاحم بـين المسلمين، وصدق الله القائل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فينبغـي الحـرص عـلى توظيـف هـذه الأحـداث الجسـام في إيقـاظ مشـاعر الإخـاء بـين المسـلمين، وحملهـم عـلى التحقـق بـالأخوّة الإسلامية، والقيام بحقوقها، لتصبح ذات نفع وجدوى في حياتهم، وتكونَ سبيلا إلى التمكين، وإرضاء الله رب العالمين.

٦- ثم إن على علماء الأمةِ ودعاتِها أن يقَـدِّموا مـن أنفسـهم القـدوة الحسنةَ أمامَ عمومِ المسلمين في التحقق بـالأخوّة الإسـلاميةِ والحفـاظِ عليها، فينأوا بأنفسهم عن الإتيان بما مِن شأنه أن يَضْعِف الإخاءَ بـين المسلمين، ويوهِنَ مِن ترابطهم وأُخوّتِهم.

وعلى سبيل المثال هناك بعض العلماء والـدعاة المعـاصرين نـراهم - مـع الأسـف - أداةَ تخريـبٍ للأخـوّة الإسـلاميةِ، وتمزيـقٍ لهـا؛ حيـث ينفخون في رماد التعصبِ المذهبيِّ الممقوت، ويعملون على إحيائه من موات، فيُحْدِثون بهذا مِن الانقسامات والفرقـةِ في صـفوف المسـلمين الكثير، وللأسف يتبع هذه الانقسامات شحناءٌ وبغضـاءٌ وتـدابر، ولا سيما مع غياب فقه الاختلاف وآدابه !!

لقـد رأيـتُ بعـضَ مَـن يَنتسِـبون إلى العلـم والـدعوة مـا إنْ يَحِـلَّ أحـدُهم في مكـانٍ إلا ويثـيرُ الفُرقـةَ فيـه، ويُحـدِث التحـزُّب والتنـافر،

والعداوةَ والبغضاء، بسبب ما هو عليه مِن تعصُّبٍ مذهبيٍّ مقيت، يكتنفه سوءُ أدبٍ ورذالةُ خُلُقٍ مع المخالفين في الرأي، في حين أن ذاك الاختلافَ الحاصلَ في الرأي لا يتجاوز محيطَ الأحكامِ العمليةِ الفرعيةِ التي مِن المحال أنْ يَجتمِع العلماء فيها على رأْيٍ واحد !!

٧ـ ومن واجب العلماء والدعاة للحفاظ على الأخوّة، وإرساءِ دعائمِها، والنهوض بها بين المسلمين، أن يحرصوا في كتاباتهم وبحوثهم، وملتقياتهم ومؤتمراتهم على تبنِّي القضايا والموضوعات الفكرية والعلمية التي تجعل التواصل بين المسلمين على الدوام نابضا بالحرارة والحيوية، مفعما بالنشاط والقوة، وذلك مثل قضايا:

* الأمة الإسلامية ومكوناتها، والروابط التي تربط بين أفرادها.

* الأقليات الإسلامية في العالم ومشكلاتها، وما يتصل بماضيها وحاضرِها ومستقبلِها، وواجبِ بقية المسلمين حِيالَها.

* عالمية الإسلام ودعوته.

* الخلافة الإسلامية تأصيلا وتطبيقا.

* الولاء والبراء، والنصرة والتكافل والتضامن بين المسلمين.

* ترشيد الصحوة الإسلامية، وإزالة أسباب التفرق بين مكوِّناتها.

* الوَحدة الإسلامية، معوِّقاتُها وعوامل تحقيقِها...، ونحو هذه القضايا التي من شأنها أن تعمل على إيقاظ الأخوّة وتفعيلِها بين المسلمين، وتحول دون غيابِها من حياتهم.

٨ ـ ومما ينبغي أن يقوم به العلماء والدعاة في هذا الشأن كذلك، أن يعملوا على استمرار التآخي والتواصلِ والتلاقي بين المؤسساتِ والجمعياتِ العلميةِ والدعويةِ في أنحاءِ العالمِ الإسلاميّ، وفي بلاد الغرب، كالجامعاتِ الإسلاميةِ، والمعاهدِ والمجامعِ العلميةِ، والمراكزِ البحثيةِ، والجمعياتِ والهيئاتِ المعنيّةِ بشأنِ الدعوةِ الإسلاميةِ، والمؤسسات الشرعية والمراكز الإسلامية في الغرب ... فهذه ونحوِها من الهيئاتِ يجب أن يحرص القائمون على أمرِها مِن أهلِ العلمِ والدعوةِ على أن يكونَ بينها تعاونٌ مشترَكٌ، وتنسيقٌ للجهود والأعمال، وتبادلٌ للمنافع، بما يُعَزِّز وَحدةَ المسلمين، ويوقِظُ فيهم ـ على الدوام ـ مشاعرَ الإخاءِ، مهما تناءت ديارُهم، وتباعدَتْ أقطارُهم.

وإذا كانت المؤسَّساتُ السياسيّةُ ودوائرُ الحكْمِ في العالم الإسلاميِّ قد عَجَزَت في عصرنا الحاضرِ عن استمرار التواصلِ والتلاقِي والتآخِي فيما بينها ـ لأسباب ما ـ؛ فينبغِي أن تبقَى المؤسَّساتُ والمجامِعُ العلميةُ والهيئاتُ الدعويةُ مَعِيناً لا يَنْضُب، ومَدَداً لا ينقطع، ورافِدا لا يتوقف عن العطاء والإسهامِ بدورٍ فعّالٍ وحقيقيٍّ في النهوضِ بعملية الإحياء للإخاء بين المسلمين على وجه البسيطة، وبعث مشاعر الأخوّة بين أفراد الأمة الإسلامية، أينما كانوا، وفي أيِّ زمانٍ عاشوا.

إنه مما لاشك فيه أن للدين سلطانا على النفوس لا يَعْدِلُه سلطان، وإنَّ لعلماء الدِّينِ ومؤسَّساتِ العلمِ والدعوةِ ـ من هذا المنطلق ـ تقديرا خاصًّا لَدَى الناسِ، ولذا فإنّ بإمكانهم أن يُؤَدُّوا دورا عظيما، ويُؤَثِّروا تأثيرا بالغا في جمع شَتاتِ المسلمين، ولَمِّ شملِهم، وتوحيد صفوفهم تحت راية الأخوّة الإسلامية، إذا رُزِقُوا الإخلاصَ وعُلُوَّ الهمّة.

وإن جماهير المسلمين في المشارقِ والمغاربِ لَتَنْتَظِر من علماءِ الأُمّةِ ودُعاتِها الربانيِّين الكثيرَ والكثيرَ في إصلاح الخلل، ورَأْبِ الصَّدْعِ، ورَتْقِ الفَتْقِ، ولا غَرْو؛ فهم ورثة الأنبياء في العلم والدعوة والإصلاح، فليتقدموا على بركة الله، وليعملوا في جِدٍّ، وليؤملوا ـ بمشيئة الله ـ خيرَ النتائج، واللهُ لا يضيع أجرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلاً.

ثالثا: واجب الأسرة:

مما لا شكَّ فيه أنَّ الأسرةَ لها بصماتٌ وآثارٌ على الفردِ تستمِرُّ مَدَى الحياة، ولسوفَ تَبْقَى التربية الأسرية لها دورٌ قويٌّ وخطيرٌ في صِياغةِ شخصيةِ الفرد، ورسْمِ ملامحِها فكريا وسلوكيا، ولهذا أسباب عديدة؛ منها طول الفترة الزمنية التي تكون الأسرة فيها مصدرا تربويا وتثقيفيا رئيسيا للشخص، وهى فترة طفولته التي تَرْبُو على اثني عشرَ عاماً، وكذلك فإن للأسرة سلطانا مادِّيًّا ومعنويًّا ذا طابعٍ خاصٍّ في نفس الفرد، يجعل ما يتلقاه عنها يحظى بالقبول والاحترام، ويَنزِل

المنزلة اللائقة به، كما أن ما يتعلمه الفرد ويُنَشّأ عليه في فترة طفولتِه يَبقَى أثرُه مصاحبا له على امتداد مراحل عمره، وغير هذا من الأسباب(١٤٦).

ويمكنُ أن تؤدِّيَ الأسرةُ المسلمةُ دوراً كبيراً في قضية النهوضِ بالأخوّةِ الإسلامية، على النحو التالي:

١ ـ إن أوّلَ وأهمَّ شيءٍ يَجدُر بالأسرة أن تقوم به هو التربية الإسلامية الشاملة للنشء؛ حيث إنّ هذه التربيةَ الإسلاميةَ الشاملةَ، عقديًّا وعباديًّا وخُلُقيًّا، هي الأساس ـ بلا ريب ـ في تحقُّق الطفل بخلال الخير والفضائلِ كلِّها، وتمسّكِه بالقيم النبيلة، ومنها الأخوّة

(١٤٦) يقول العقاد: «الأسرةُ هي الأمّةُ الصغيرة، ومنها تعلَّمَ النوعُ الإنسانيُّ أفضلَ أخلاقِه الاجتماعيةِ، وهي في الوقت نفسِه أجملُ أخلاقِه وأنفعُها.

مِن الأسرة تعلَّم النوعُ الإنسانيُّ الرحمةَ والكرم، وليس في أخلاقه جميعا ما هو أجملُ منها وأنفعُ له في مجتمعاته.

وإذا تتبّعنا سائرَ الفضائلِ والمناقبِ الخُلُقيةِ المحمودةِ بلَغْنا بها في أصلٍ مِن أصولها على الأقل مصدراً مِن مصادرِ الحياةِ في الأسرة، فالغيرةُ والعزةُ والوفاءُ ورعايةُ الحرماتِ كلُّها قريبةُ النَّسبِ مِن فضائل الأسرةِ الأولى، ولا تزال مِن فضائلِها بعدَ تطوُّرِ الأسرةِ في أطوارِها العديدةِ منذ عشراتِ القرون.

ولا بقاء لِما كسَبه الإنسانُ مِن أخلاقِ المروءةِ والإيثارِ إذا هجرَ الأسرةَ وفكَّكَ روابطَها ووشائجَها .. لا أُمّةَ حيثُ لا أُسرة، بلْ لا آدميّةَ حيثُ لا أُسرة».

(حقائقُ الإسلامِ وأباطيلُ خصومِه، عباس محمود العقاد، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ باختصار، نهضة مصر – القاهرة، ط الرابعة ٢٠٠٥م).

الإسلامية، وهـي المنطَلَقُ الأسـاسيُّ، والركيـزة الكـبرى التـي ننطلـق منها لبـث مفـاهيم الأخـوّة الإسـلامية في عقـل وقلـب الفـرد، وإيجـادِ قناعة لديه ـ منذ الصغر ـ تَحْمِلُه على إقامتها في حياته، وصيانةِ حقوقِها وواجباتِها على النحو الذي شرعه الله تعالى.

٢ـ ويتفرّع عن هذه التربية الشـاملة أن تقـوم الأسرة بتربيـة الـنشء منذ نعومة أظافرهم على الأخـوّة الإسـلامية ـ خاصـة ـ وأداءِ حقوقِهـا وواجباتِها، وهذه التربيةُ ترتكز على جانبين:

أحـدهما: مَعْـرِفيٌّ؛ يُـزوَّد الطفـلُ في إطـاره بالمفـاهيم النظريـة عـن الأخوّة الإسلامية من حيث معناها وضرورتها، وحقوقها وواجباتها، وغير ذلك.

والثاني: عمليٌّ؛ تُترجَم مـن خلالـه تلـك المفـاهيمُ التـي تلقاهـا عـن الأخوّة إلى سلوكٍ تطبيقيٍّ، مثل تهيئةِ الفرصِ والمناسبات العمليّةِ التي تتـيح للـنشء القيـامَ بواجبـات الأخـوّة نحـو غـيرهم مِـن المسـلمين، كالمشاركة في بعض أعمال التكافل والبِرِّ والمواساة، وأنشطةٍ وفعالياتٍ لمناصرة المسلمين وقضاياهم في بلد ما.

وبهذا يَكبُر الطفلُ وتَكبُر في نفسه الأخوّةُ الإسـلاميةُ، ويكـون هـو نفسُه عاملا في إنهاضها، وتقوية كيانها.

٣ـ وجديرٌ بالذِّكر أن الوالدَيْنِ يجب أن يكونا قدوة أمـامَ الـنشءِ في التحقُّـقِ بـالأخوّة، ورعايـةِ حقوقِهـا وواجباتِهـا عمليًّـا، في المواقـف

المختلفة، كالتفاعلِ مع مشكلاتِ المسلمين وهمومِهم في شتى بقاعِ الأرض، والتحرّكِ الإيجابيِّ حِيالَها، بالإسهام العمليِّ - قدْر المستطاع - في محاولة إزاحةِ البلاءِ عنهم، بالتكافل والمواساة والنصرة، ووإظهارِ مشاعرِ الحزنِ لما يَمْسَسهم مِن ضَرّاء، ومشاعرِ الفرحِ لما ينالهم مِن سَرّاء، والدعاءِ لهم في كل حال.

٤- ولْتحرِصِ الأسرةُ على وِقايةِ النشءِ مِن الوسائل التي تُضْعِف أو تُميِّع في نفوسهم وفِكْرِهِم مبدأَ الأخوّةِ الإسلاميةِ، مثل وسائل الإعلام والتثقيف التي تتبنَّى مضمونا علمانيا أو قوميا، وغيرِ هذا مما يعاكس قضية الأخوّة ويَذهَب بصفائها لدى المسلمين، فهذه الوسائل ونحوُها ينبغي أن لا يُسمَح بأن تَغزوَ عقولَ النشءِ وقلوبَهم بثقافتِها التي تُزعْزِع مبدأَ الإخاءِ الإسلاميّ، وأن يُعْمَل على تصحيح ما يتسرّب إلى نفسه مِن مفاهيمَ وتصوّراتٍ خاطئة.

وخلاصة الأمر أن واجب الأسرة المسلمة في النهوض بالأخوّة الإسلامية، يتركز - فيما أرى - في أن تقوم بتربية الأجيال الناشئة تربية إسلامية وإعدادِهم إعدادا يَغْرس في نفوسهم مفاهيمَ الأخوّة الإسلامية، ويُقوِّي الإيمانَ بمشروعيتها وضرورتها، ويُعَمِّق في حياتِهم وتصرّفاتِهم العمليةِ التحقّقَ بأخلاقها، والالتزامَ بواجباتِها وحقوقِها، ومن ثَمّ تكون هذه الأجيال سبباً للنهوض بها، وعاملا في ترسيخها ودعم بنيانها.

وفي تقديري أن هذا الواجبَ الأسريَّ لو تحقق، ونَهَضَتْ كلُّ أسرة بما يَسَعُها القيامُ به، ونُشِّئت الأجيالُ على ذلك النحو؛ لأسهمَ هذا بنصيبٍ موفورٍ في أن ترتفعَ رايةُ الأخوّةِ الإسلاميةِ عاليةً في سماء الأمّة، وأن يَنْعَمَ المسلمون في كلِّ مكانٍ بظلالها الوارفة، ولا عجب؛ فإنّ الأجيالَ الناشئةَ هم شبابُ الأُمّةِ في الغَدِ، ورجالُها وقادتُها، وصانِعو حضارتِها في المستقبل.

رابعا: واجب عموم المسلمين:

وإذا كان على أولي الأمر والدعاة والعلماء واجباتٌ ومسئولياتٌ فيما يتعلق بالنهوض بالأخوّة الإسلامية، فإنّ عموم المسلمين عليهم كذلك نصيبٌ مِن المسئولية، بل إنّ كلَّ مسلمٍ ـ بِحَسَبِ مقدرته واستطاعته ـ ينبغي أن يكون له إسهامُه ودوره في هذا الشأن.

ألَا لقد آن الأوانُ كي تدرك الشعوبُ المسلمةُ مصلحتَها، وتعملَ مِن أجْلها، وأنْ تتصرّفَ وَفْقَ ما يمليه عليها دينُها الذي ارتضتْه واتّبعتْه.

وإنّ تحقيق الأُخوّةِ الإسلاميةِ الكاملة، والوَحْدةِ الجامعةِ على أساس الإيمان، وفي ظلِّ الإسلام، لهو عينُ مصلحتِها، ومِن صميم ما يأمرُها به دِينُها.

١ـ إن على عموم المسلمين الذين رضوا بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، أن يحرصوا على التحقُّق بما أمَرهم

الله في كتابه، بقوله سبحانه: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

إن جميع المسلمين مَشْمُولون بهذا الخطابِ الربّانيِّ والأمرِ الإلهيِّ بالحرص على التلاقِي والتآخِي بالإيمان، والوَحدة على أساس الإسلام.

وإنّ الأُخوّةَ والوَحدةَ الإسلاميةَ «يجب أن يتغيّاها كلُّ مسلم، ومن لم يؤمن بأن المسلمين أُمّة واحدة، فقد عانَد نصوصَ القرآن، ودخل في عِداد الذين يُشاقُّون الله ورسوله، ولقد قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

لقد تفرقنا في الماضي، فأكلَتْنا ذئابُ الأرض، وأصابنا الذُّل، ومُزِّقْنا شرَّ مُمزَّق.

وإذا كانت العنصريةُ المقيتةُ قد فرَّقتْنا، فالقرآن الآن يجمعنا، كما كان ينبغي أن يجمعنا من قبل، وإذا كان هَوى الحكامِ وحُبُّ الغَلَب ضيّعَنا وضيَّعَهم في الماضي؛ فإنه يجب أن نجتمع في ظل الإسلام ووَحدتِه» (١٤٧).

---

(١٤٧) الوحدة الإسلامية ص ٢٣٦.

ولـذلك فـإن عـلى كـلِّ مسـلمٍ أن يَعُـدَّ نَفسَـه مكلَّفـا تكليفـا عَينيًّـا بالعمل على إقامة الأخوّةِ الإسلاميةِ ورعايتِها، والسعيِ ـ بما يستطيع ـ في جمع كلمة المسلمين ووَحدةِ صفِّهم تحت راية هذه الأخوّة، وأداءِ ما يجب عليه مِن حقوقٍ نحو بقيةِ إخوانه المسلمين.

٢ـ وينبغي أن تكون مجتمعـاتُ المسـلمين وحَيـاتُهم العمليـةُ تطبيقـا صادقا للأخوة الإسلامية، وأن يحرصوا على إقامة حقوقها وواجباتِها فيما بينهم على كافة المستويات؛ على مستوى الجـوار في السـكن، وعـلى مستوى المدينة الواحدة، وعلى مستوى القُطْرِ المحلِّيّ، ثم عـلى مسـتوى الأقطار الإسلامية كلِّها، ولْيجعلْ كلُّ فَرْدٍ مِن نفسه حارسا أمينا عـلى هذه الأخوّة، فلا يتسرب إليها مِن جِهتِه وَهْـنٌ، وبهـذا تـنهض نهوضـا عظيما.

٣ـ ثم إن من واجب الشعوب المسلمة أن تُفصِح وتجاهِرَ لحكّامها وأولي الأمـر منهـا عـن رغبتهـا في إقامـة الإخـاء الإسـلاميِّ وتحقيـقِ الوَحدةِ الإسلاميةِ، وأن تطالبَهم بالعمل على ذلك، وتحثَّهم على اتخاذ التدابيرِ العمليةِ والإجراءات الرسمية التي مـن شـأنها أن تُعـزِّز إخـاءَ المسلمين ووَحدتَهم.

ولـن تَعْـدَمَ الشـعوبُ ـ في هـذا الـزمن خاصـة ـ الوسـائلَ المناسـبةَ لإيصال رسالتِها تلك إلى الحكام، بل وفرْضِ إرادتِها.

٤ـ وبعيدا عن الحكام والمؤسساتِ الرسـميةِ فـإنَّ الجماهـيرَ المسـلمةَ

يمكـن أن يكـون لهـا جهـود وإسـهامات شَـعْبية في إيجـاد وتوظيـفِ الوسائلِ التي مِن شأنِها أن تُعَزِّز وتسانِدَ وَحْدَةَ المسلمين وأُخُـوّتَهم في هـذا العصر، كالإفـادة مـن وسـائل الإعـلامِ المتنوعـة، واسـتغلالِها في النهوض بالأخوّة الإسلامية.

وعلى سبيل المثال يمكن أن يُسْـهِم القـادِرون مِـن عمـوم المسـلمين في نشر الكتب والمجلات، وإنشـاء قنـوات فضـائية، ومواقـع إعلاميـة على الشبكة الدولية للمعلومـات (الإنترنـت)، تتيـح للعلـماء والـدعاةِ وأُولي الـرأي أن يقـدموا مـن خلالهـا مـا يُعـزِّز الـترابطَ والاتحـادَ بـين المسلمين في مختلف أقطار العالم، وهذه الوسائلُ ونحوُهـا قـد صـارت متاحة وممكِنة في هذا الزمن، من غير معوِّقات وقيود، بخلاف ما كـان الحال في الماضي.

إنّ جماهير المسلمين لا ينبغي أن يكونوا أقلَّ غَيْرة على دينهم، وأقلَّ حرصا على أُخوّتهم من جماعات وشعوب غير مسـلمة، تبـدو شـديدة الحرص على إيجاد ودعم الوسائل التـي تعمـق الـروابط والإخـاء بـين بعضها الـبعض، كالجماعـات اليهوديـة مـثلا؛ حيـث نـرى مِـن هـؤلاء حرصا كبـيرا ونشـاطا ملحوظـا، وعمـلا دائبـا في استغلال وتوظيـف الكثـير مـن الوسـائل الفعّالـة والمتنوعـة في خدمـة القضـايا اليهوديـة، وخاصـة قضـيةَ تعميـقِ الـولاءِ والإخـاءِ والـترابطِ فـيما بـين اليهـودِ في العالم، على أساس دينِهم، وفي إطـار مبادئِه وتعاليمِـه، وهـذا أمـرٌ مـن

الوضوح بمكان.

ألا لقد آن الأوان لأن يعمل المسلمون ـ حكاما ومحكومين، علماء ومتعلمين، دعاة ومدعوين ـ ويَجِدُّوا لإقامة أُخوّتِهم، والنهوضِ بها، وتحقيقِ الوَحدةِ والتضامنِ فيما بينهم، على أساس الإسلام، وفي إطار شريعته، كلٌّ بما يتهيأ له من أسباب، ويوفقه الله إليه من عمل، كي يتغير الحال إلى ما هو أَرضَى وأحسن، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إن تعاليم الأنبياء، وتوجيهات الدعاة والعلماء، وصيحات المصلحين، وصرخات الغيورين يجب أن لا تكون صرخة في واد، أو نفخة في رماد؛ بل يجب أن تَلْقَى مِن المسلمين آذانا صاغية، وقلوبًا واعية، وعزائم صادقة، تتحول بتوفيق الله إلى جهود مخلصة نافعة، وإنّا على ثقة من أن هذا لكائنٌ إن شاء الله، إذِ الخير لا يزال في المسلمين والحمد لله.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

المراجـــــــع

١ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢ـ الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة د. عمر فروخ، مكتبه المنار - الكويت، ط السابعة ١٩٧٤م.

٣ـ البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر - القاهرة، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٥ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (المتوفَّى ٣١٠هـ)، دار التراث - بيروت، ط الثانية ١٣٨٧هـ.

٦ـ التبصرة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٧ـ الترغيب والترهيب، الحافظ إسماعيل الأصبهانيّ، دار الحديث - القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٨ـ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفَّى ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٩ـ تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة.

١٠ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفَّى ١٣٧٦هـ)، مكتبه الأوس - المدينة المنورة .
١١ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(المتوفَّى ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .
١٢ـ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د. جميل عبد الله محمد المصري، مكتبة العبيكان، ط الخامسة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
١٣ـ الخلافة، محمد رشيد رضا (المتوفى ١٣٥٤هـ)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة - مصر.
١٤ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفَّى ٥٨١هـ)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١٥ـ سنن ابن ماجه، - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفَّى ٢٧٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط الأولى١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
١٦ـ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (المتوفَّى ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط الأولى١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٧ـ سنن الترمذيّ، محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي، أبو عيسى (المتوفَّى ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، الناشر مطبعة الحلبي – مصر، ط الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

١٨ـ السنن الصغرى= المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفَّى ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٩ـ السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفَّى ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢٠ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثامنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٢١ـ السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (المتوفَّى ٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

٢٢ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (المتوفَّى ١٠٨٩هـ)، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٣ـ شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفَّى ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٤ـ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفَّى ٤٥٨هـ)، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٢٥ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي - مصر .

٢٦ـ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفَّى ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢٧ـ صحيح البخاري، [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه]، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨ـ صحيح مسلم [المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ]، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفَّى ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، المعروف بابن سعد (المتوفَّى ٢٣٠ هـ) تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط الأولى ١٩٦٨م.
٣٠ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٨م.
٣١ـ غُرَر الخصائص الواضحة، وعُرَر النقائض الفاضحة، برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفَّى ٧١٨هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٣٢ـ الغزو الفكري التحدي والمواجهة، للمؤلف، دار الكلمة - مصر، ط الثانية ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
٣٣ـ فتح القدير الجامع بين فَنّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفَّى ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير- دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ.
٣٤ـ الفَرْقُ بين الفِرَق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (المتوفَّى ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط الثانية ١٩٧٧.
٣٥ـ فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، ترجمة د. نادية عبد الرزاق السنهوري، مراجعة وتعليقات د. توفيق محمد الشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية ١٩٩٣م.
٣٦ـ الفكرُ الإسلاميُّ الحديثُ وصِلتُه بالاستعمار الغربيّ، د. محمد البهي،

دار الفكر - بيروت، ط السادسة ١٩٧٣م.
٣٧ـ في ظلال القرآن، سيد قطب (استُشهِد في ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م)، دار الشروق - القاهرة، ط السابعة عشرة ١٤١٢هـ.
٣٨ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط السادسة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٣٩ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، (بدون دار وتاريخ النشر).
٤٠ـ لسان العرب الأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٤١ـ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية - مصر ١٣٠٦هـ.
٤٢ـ ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسى أبو النصر، مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة، ط الرابعة.
٤٣ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، ٧/ ٢٦٧، مكتبة القدسي - القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٤٤ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (المتوفَّى ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط الخامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٥ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفَّى ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٤٦ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفَّى ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٤٧ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفَّى ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٤٨ـ مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار [٢١٥ ـ ٢٩٢هـ]، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط الأولى (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٤٩ـ المسند، الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي (المتوفَّى ٣٠٧هـ)، دار المأمون للتراث - دمشق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٥٠ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية (خلال القرن الرابع عشر الهجري)، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة.
٥١ـ معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفَّى

٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية - حلب، ط الأولى ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.
٥٢ـ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفَّى ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق عوض الله محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
٥٣ـ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفَّى ٦٢٦هـ)، دار صادر - بيروت، ط الثانية ١٩٩٥م.
٥٤ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط الثانية.
٥٥ـ معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (المتوفَّى ١٤٣١هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٥٦ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن، الملقَّب بفخر الدين الرازي (المتوفَّى ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ .
٥٧ـ المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، مكتبه الأنجلو المصرية ١٩٧٠م.
٥٨ـ من التبعية إلى الأصالة، أنور الجندي، ط الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
٥٩ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفَّى ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا،

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.
٦٠ـ الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفَّى ٧٩٠هـ)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م. .
٦١ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، ط الرابعة ١٤٢٠هـ .
٦٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفَّى ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٣ـ هُموم داعية، محمد الغزالي، (ط إدارة إحْياء التراثِ الإسلاميّ - قطر).
٦٤ـ الوَحدة الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة.

فهرس الموضوعات

*** *** ***



المـــؤلف

أ.د/ إسماعيل علي محمد علي.

* أستاذ ورئيس قسم الـــدعوة والثقافـــة الإســـلامية، في كليـــة أصـــول الـــدين والدعوة بالمنصورة ــ جامعة الأزهر.

* من مواليد عـــام ١٣٨٥هـــــ ١٩٦٥م، في قرية "كفـــر حمـــاد"، مركـــز "كفـــر صقر"، محافظة الشرقية. مصر.

* حفظ القـــرآن الكريم ــ صـــغيرا ــ في كُتّـــاب القـــرية، ثم التحق بالأزهر الشـــريف، إلى أن تخـــرّج مـــن كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ــ جامعة الأزهر ــ عام ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م.

* نال درجة الدكتوراه من كلية أصول الـــدين بالقـــاهرة ــ جامعـــة الأزهر عام ١٤١٦هـــ ١٩٩٦م.

* تدرّج في العمل الأكاديمي الجامعي إلى أن حصل على درجة "أســـتاذ" عام ٢٠٠٥م، ثم رئيسا لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة عام ٢٠٠٨م.

* أستاذ في جامعة الأزهر، وفي معاهد إعداد الـــدعاة بـــوزارة الأوقـــاف، والجمعية الشرعية في مصر، كما عمل بالتدريس في كلية الشريعة ــ جامعة الملك خالد ــ السعودية.

* عضو محكَّم في اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأســـاتذة والأســـاتذة المساعدين، في جامعة الأزهر.

* بلغ عدد رسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث العلميـــة المحكَّمـــة، التي أشرف عليها وناقشها وحكَّمها حوالي ثلاثين رسالة وبحثا.

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر.

* زار عددا مِن الدول مثل أمريكا، ولبنان، والإمارات، وتركيا، وأفريقيـــا، وشارك في أنشطة دعوية وعلمية فيها، كما أنّ له إسهامات مـــن خـــلال الخطابة والندوات والمؤتمرات، والكتابة في الصحف والمجــلات، والمواقـــع الإلكترونية، والفضائيات.

* له عدد من البحوث والمؤلفات، منها:

١ ــ الغزو الفكري .. التحدي والمواجهة.

٢ ــ مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية.

٣ ــ الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم .. مظاهره وآثاره.

٤ ــ الاستشراق بين الحقيقة والتضليل .. (مــدخل علمـــي لدراســة الاستشراق).

٥ ــ فن الخطابة ومهارات الخطيب.

٦ ــ مفتريات المستشرقين وعملائهم على الإسلام. [رد علـــى كتـــاب (محمد واليهود نظرة جديدة)].

٧ ــ آدم أبو البشر .. حقيقة لا أسطورة [رد على كتاب (أبي آدم قصـــة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة) للدكتور عبد الصبور شاهين].

٨ ــ القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.

٩ ــ معالم الحياة الراشدة في بلاغ حجة الوداع.

١٠ــ العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها .

١١ــ الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية.

١٢ــ الأُخوّة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية.

١٣ ــ فقه الدعوة في ضوء موقف " جعفر بـــن أبـــي طالـــب " أمـــام " النجاشي ".

١٤ ــ صور من حقوق الطفل في الإسلام.

١٥ ــ فن كتابة الثقافة الإسلامية للطفل .

١٦ ــ الضوابط الأخلاقية المتعلقة بحقوق التأليف.

١٧ ــ نحو تأصيل علميٍّ لمصطلحات علوم الدعوة الإسلامية.